رواية

ناس على الفيس

سحر غريب

obeikandi.com

الطبعة الأولى

الكتاب : ناس على الفيس

المؤلف : سحر غريب

تصنيف الكتاب : رواية

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢١٣٢ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : 978 - 977 - 776 - 165 - 9

دار يسطرون

طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم

المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة

شارع الملك فيصل - الجيزة

جمهورية مصر العربية

٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ _ ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم

المدير العام : أحمد فؤاد الهادى

رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

بريد إليكترونى : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeikandl.com

إهداء

إلـى روح أمـى الخالـدة، إلـى مـن كانـت صديقتـى ورفيقتـى، إلـى مـن كانـت تمتلـك سـراديب أسـرارى وتسـتطيع العـزف بسـهولة علـى مفاتيـح أخلاقـى، إلـى مـن أخـذت معهـا البركـة والحـب والونـس ورحلـت، أهديـكِ كل مـا أكتـب حتـى يحـين موعـد اللقـاء.

إلـى كل سـكان قلبـى، وهـم شـعوب وقبائـل قـد يكونـوا لـم يلتقـوا إلا داخـل هـذا القلـب المترامـى الأطـراف، لـكل منهـم درجـة ومكانـة خاصـة، إلـى الحاكـم بأمـر هـذا القلـب وأقـدم سـكانه الـذى يضـع القوانـين بنفسـه، والـذى لا تسـرى عليـه أية قوانـين مهمـا كانـت منطقيتهـا وحتميتهـا، إلـى أقسـى سـكان قلبـى وأرحمهـم وأكبرهـم وأصغرهـم، أهـدى لكـم بعضـاً منـي.

سحر غريب

obeikandl.com

obeikandl.com

لماذا تمر السويعات وكأنها دهر تأبى سنواته ألا تمر كمرور السحاب، بطيئة كمن استبدلت الرمال فى ساعتها الرملية بسائل لزج معدوم الطعم واللون والرائحة، ستقولون عنى حتماً إننى من المتنمرين إذا أخبرتكم سراً عميقاً من أسرارى، هل أخبركم وتعدوننى بأن تتفهموا؟ على العموم سأخبركم، فأنا على كل حال لم أعد أهتم بما يظنه الآخرون، حتى لو أصابتنى ملامتكم، فأنا أشعر بالكثير من الملل، ملل جامح متوحش يفترسنى، نعم تنتابنى حالات سقيمة من هذا الزائر الثقيل على قلبى، تصاحبنى حالة من الوحدة، أنا وحيدة كوحدة كائن حى بائس قليل الحظ ضل طريقه إلى سطح المريخ، وجلس وحده منتظراً الموت، الذى يعتبر قارب نجاته الوحيد الذى سيلقيه بين أهله وأحبته، هذا الموت الذى تأخر كثيراً عنه حتى ظنه ضل طريقه إلى مكانه وتركه يتجرع البؤس وحيداً على كوكبه.

أجلس على أريكتى أمسك جهاز التحكم الخاص بالتلفاز وأقوم بتصفح قنواته المتعددة، فلا أجد فيها إلا بعضاً من الصور التى لا تزيدنى إلا مللاً، لم تعد تستهوينى الحفلات ولا الأفلام ولا البرامج ولا المنوعات ولا الأخبار

ولا برامج الحوارات، حتى عشقى لأفلام الأبيض والأسود اختفى مع نوبات الملل التى لا تنتهى، حتى اللحظات التى أقضيها فى التسوق أصبحت لا تستهوينى، رغم أن متعة إنفاق الأموال من أجل اقتناء قطعة حُلى غريبة الشكل كانت من أحلى لحظات حياتي.

أمسك كتاباً فأتصفحه فتتحول صفحاته إلى نقاط سوداء، هنا فقط أشعر أننى لست على مايرام، فأنا عاشقة للأفكار التى تسبح داخل الكتب، ففيها شفاء وسلام نفسى لا مثيل لهما، وتعانُق، تام بين كاتب لا تعلم عنه شيئاً وقارئ يرغب فى المعرفة والتوغل داخل عقول من يكتبون.

فى البداية كنت أقتل الملل بالتغلغل داخل تفاصيل حياة صغارى، حتى شب عودهم، وأصبحت لهم اهتمامات قد لا تجتذبنى كثيراً، وأصبح لديهم أصدقاء يودعونهم جل أوقاتهم، أصبحت أشعر أننى دخيلة عليهم، وأنا من حملت همومهم من قبل وصولهم للحياة، نعم حملت همومهم منذ كانوا مجرد أسماء نختارها أنا وأبوهم فى فترة الخطوبة، ولكنها سُنة الحياة وناموس الكون، ويجب أن نعطيهم مساحتهم الشخصية التى يتحركون داخلها، وأن أبحث لنفسى عن عالم موازٍ يشغل فكرى ويستوعب طاقتى المكنونة.

فلأبحث أنا عن عالمى الجديد الذى لا يجعلنى مجرد متطفلة على عالم أطفالى، أو عالم أصدقائى المنشغلين دوماً

obeikandl.com

بأمور حياتهم، بحثت كثيراً حتى عثرت عليه، بل قُل عثر هو على مكانى واقتحمنى، قل عنه التقاء حبيبين بعد أن ظنا ألا تلاقيا، أعترف أننى توغلت فى هذا العالم حتى أدمنت التواجد فيه.

لا أتذكر بالضبط متى دخلت هذا العالم، ولكنه سحبنى بشدة مع تياره الجارف، أصبحت سمكة تسبح مع سمكاته، تنام وتستيقظ على أنغام حكاياته، تنتظر من يحيا داخله حتى تستمع إلى شكواهم وحكاويهم، فى البداية تابعت أهله عن بعد، توجست خيفة من أى اقتراب، فأنا أعلم جيداً أن من يحيا داخله لا يمانعون فى استخدام أسماء مستعارة للتعبير عن شخصياتهم التى تختفى خلف شاشات الكمبيوتر، يوهمونك أن لديهم قيما قد يفتقدونها على أرض الواقع، فتصدقهم بسذاجة الزائر الجديد حسن النية، وكثيراً ما صادفت من يرسم بفرشاة أحلامه واقعاً لا يحيا فيه ولكنه يحلم به، كنت فى البداية أستنكر ما أقرأه أحيانا ثم قلت لنفسى: دعيهم يحلمون، أنستكثر عليهم نشوة الأحلام، الأحلام حق مكفول للجميع قد يتحقق بقوة الرغبات، قديما كنا نحلم عندما ننام فى صمت دون ضوضاء أو ضجيج، ودون أن نحتاج إلى أن نحكى أو نتذكر أحلامنا، اليوم قد نحلم عندما نجلس أمام تلك الشاشة العبقرية، والأهم نتشارك أحلامنا وهمومنا مع من تفصل بيننا وبينهم الكثير من المسافات والطباع والظروف،

عالم النت محيط مترامى الأطراف يحمل فى عمقه العديد من الحكايات والروايات والطموحات والانكسارات، عالم لو قررنا يوماً القفز داخله لغرقنا.

لقد قررت أن أحيا بين قصص أصدقائى الذين يجمعنى بهم موقع التواصل الاجتماعى فقط، هذا الموقع العبقرى الذى أنشأه شاب يُدعى مارك زوكربيرج، والذى اشتهر بين طلبة جامعة هارفارد بولعه الشديد بالانترنت، وقد كان مارك يبحث لنفسه عن شعبية بين أصدقائه وزملائه، فأنشأ موقع الفيس عام ٢٠٠٤، ليتواصل طلبة جامعته فيما بينهم، ثم تطور الأمر ليشمل بقية الجامعات ثم المدارس ثم تطور موقع الفيس بوك ليشمل فئات أكثر من سكان العالم، وانتشر بشكل هيستيرى غير مسبوق بين سكان الكرة الأرضية وأصبح للغالبية العظمى صفحة خاصة على الفيس بوك، وتقاربت المسافات كثيراً واجتمعت العائلات من جديد، أصبحت شاشة الفيس بديلاً عن صالونات البيوت أحيانا، استطاع الفيس بوك أن يربط بين من يحيا فى أقصى الشمال ومن يسكن أقصى الجنوب من الكرة الأرضية، ولو كان هناك سكان على كواكب أخرى لاستخدموا الفيس معنا واتسعت دائرة التعارف لتشمل سكان المجموعة الشمسية كلها.

أعلم جيداً أنه خلف كل شاشة يجلس شخص، يعبر عن مشاعره سواء كان صادقاً أو كاذباً أو حالماً، أصبحت

أستنشق غبار أحزانهم وأشم رحيق أفراحهم، وأحاول أن أتنبأ بمقدار صدقهم وأكاذيبهم، أحياناً كان التوفيق يحالفنى وأحياناً أخرى كان الفشل والصدمة حليفاً لى .

سأحكى لكم عنهم، عن أرواح اجتذبت روحى، عمن اقترب منى وحكى قصته ، وعن بعض من تابعته وتلصصت على حكاياته دون أن أخبره أننى أتابعه عن كثب لأن فى حكاياته مايمس روحى التائهة الباحثة عن حواديت أغرق فيها حتى النخاع، وأجد داخلها نفسى الضائعة منى، سأحكى عن الحب بكل صوره، الحب الذى تحول إلى علاقات عابرة داخل غرف الشات المُغلقة على مافيها من أسرار، الحب الذى أصبح يبدأ بلايك وينتهى ببلوك، وقلوب مُحطمة تنعى حظها العاثر وقلة حيلتها، سأحكى عن المشاعر التى لم تعد أسراراً نكتمها داخل أنفسنا، بل أصبحت أيقونة نتداولها على صفحات الفيس بوك.

obeikandl.com

إيمان داخل كهف المهجور

على أنغام فيروزية تتسلل داخل نفسى فأصبح كمن خضعت لعملية جراحية شديدة التعقيد لاستبدال خلايا تعيسة بخلايا أخرى أكثر سعادة، جلست أتفحص الصفحات التى يكتظ بها موقع التواصل الاجتماعى، وأتأمل ماعليها من صور وحكايات، تجذبنى صور الوجوه المبتسمة السعيدة، وأبتسم بشكل لاإرادى غير مفهوم مع ابتساماتهم، أنتقل من صفحة إلى أخرى وكأننى صائد متمرس لبعض الدرر والنفائس، حتى اصطدمت بصفحة إيمان الثلاثينية، والتى تبدو من صورها شديدة الجمال، ملامحها البريئة تتحدى زمناً حديث العهد بمهنة الطب، يمسك بيديه مشرطاً حاداً، هوايته تشويه وجوه الفاتنات، تظهر إيمان كشخصية منفتحة على العالم، فى عينيها بحر أزرق اللون وضعته على هيئة عدسات لاصقة، وكأنها حصلت لنفسها على قطعة صغيرة من بحر واسع تحلم بالسباحة ضد تياره، لها العديد من الأصدقاء من الجنسين، أشهرهم على الإطلاق شاب اسمه حازم، يبدو من طريقته فى إبداء الرأى أنه عاشق صامت لإيمان، لا

o b e i k a n d l . c o m

يلاحظ وجوده واختلاجات قلبه إلا قدامى العهد بصفحة إيمان، ومنهم أنا تلك المتطفلة التى تقرأ مابين السطور قبل أن تقرأ السطور نفسها، تعشق إيمان السفر والخروج، بسبب ثقتها الزائدة بنفسها، تلتقط العديد من الصور المقربة من وجهها فهى لا تخشى آراء الآخرين، تُخرج لسانها للكاميرات فى تحدٍ سافر لعهد مضى كانت تدعى فيه الفتيات خجلاً قد يكون زائفاً فى الكثير من الأحيان، ملامحها الرقيقة الجذابة لا تظهر عمرها الحقيقى، الذى يختفى تحت ابتسامتها البريئة الرقيقة، ملابسها تنم عن فتاة من الطبقة فوق المتوسطة، لها أكثر من صورة وهى تجلس على مقود سيارة شبابية حمراء اللون يبدو أنها اشترتها من حر مالها الخاص، تضع فى سيارتها الكثير من الدمى التى تحمل شكل دباديب، تبدو سيارتها وكأنها سقطت داخل محل للهدايا الذى لا يبيع إلا الدببة المحشوة، إيمان فى سن الباحثات عن الاستقرار والزوج المناسب، تقريباً تتحفنا كل شهر بقصة جديدة لعريس جديد تم رفضه دون أسف من ناحيتها، جذبتنى بجرأتها وثقتها اللامتناهية بنفسها، وثقافتها وأناقتها، وعدم خوفها من أن يدهسها قطار الزواج ذو الصافرة المزعجة التى تربك الفاتنات الصغيرات قبل الكبيرات.

هى من فتيات برج الحمل العاشقات للمغامرة، قد تجازف بكل شيء من أجل لحظات عابرة من المتع الدنيوية،

نزهة على جبل أو رحلة بحرية فى عرض البحر، أو تطير صوب سحب السماء ببراشوت، لا يعرف الخوف طريقاً إلى قلبها، ترغب فى الزواج المبنى على الحب، حتى لو انتظرت العمر كله، فزواج أساسه حب خير لها ألف مرة من زواج تقليدى مبنى على أساس نظافة صالون بيتها.

إيمان حلم جميل صعب التحقيق لمن يرغبون فى الزواج، ولكنها كانت تحول أحلامهم بها إلى كابوس مروع ورفض غير مسبب أحياناً، كتبت يوماً عن الشاب الجديد المُتقدم للزواج منها على صفحتها تقول :

جلس فى حجرة الصالون وكأنه يعاين جارية متخيلاً أنه فى سوق الجوارى من عهود ولت ومضت، يرغب مثلهم فى أن يعاين ويلمس ويتحسس ويا حبذا لو استطاع أن يدخل ليشاهدها تستحم بنفسه حتى يتأكد من أن الجارية المعروضة للبيع ليس بها عيب ملحوظ يستوجب تغيير قراره بالشراء، ويا حبذا لو خطف قبلة من فمها ليتذوق طعم شفتين يوشك أن يشترى صاحبتهما أمة لنفسه، وعليه أن يطمئن على مستقبل القبلات القادمة.

يومها كنت عائدة من عملى مُرهقة أتحسس طريقى نحو سريرى المريح، حتى فاجأتنى أمى بالخبر السعيد، الذى أصبح يتكرر كثيراً فى بيتنا، زوج محتمل جديد من أزواج الصالونات، الذين أصبحوا يتوافدون على بيتنا كما يتوافد الحجاج على الكعبة.

فى البداية طلبت من أمى أن تقابلهم هى على أنها الزوجة المُنتظرة، فهى تشبهنى كثيراً وتحتفظ بكامل جمالها الذى كان قبل أن تصبح أماً لفتاة توشك أن تصبح زوجة، ولكن أمى العزيزة رفضت الفكرة تماماً واعتبرتها ثقل دم من العيار الثقيل.

مع دقات الساعة السادسة دخل الزوج المُنتظر ذو المواعيد المنضبطة إلى صالون بيتنا، معظم المتقدمين للزواج عن طريق الصالونات يلتزمون بمواعيدهم الأولى، فهم يعلمون جيداً أن الانطباع الأول يدوم، وأن أهم انطباع قد يعطيه الشاب الراغب فى الزواج لأهل زوجته المحتملة هو انطباعٍ الشاب الجاد المنضبط المواعيد، زواج الصالونات يقوم غالباً على ساعة واحدة تحدد مصير علاقة زوجية مؤبدة كاملة قادمة، الهمسة فيها تفرق، النظرة تفرق، فلو نظر أحد الطرفين نظرة لا ترضى الطرف الآخر لانتهى اللقاء قبل أن يبدأ، زواج مبنى على حب وإعجاب من النظرة الأولى، زواج قائم على حسابات دقيقة يقوم بها العقل لا قرارات عشوائية يتخذها القلب القابل للافتتان دائماً.

كان عقله مشغولا، فى واد آخر، كان منهمكاً فى أهم قضايا الكون، يبدو من كلامه وتعبيراته انه ممن يتخيلون أنفسهم مرسلى العناية الإلهية إلى البشر المساكين. الذى يتخيل أن له قدرات خارقة ستدخلنى فى كهفه الذى يقع فى آخر أطراف الكرة الأرضية، لقد قرر أن يتخذ

منى قطعة أثاثه المفضلة، أن يضعنى فى شرنقته الحريرية المنفصلة عن العالم، ويدخلنى فى كوكبٍ لن تطأه قدم بعده، سيمنعنى عن الجميع، لا مانع لديه من زيارة عائلية، لأمى وأبى، واحدة كل شهر، لن يتردد فى أن يقنعنى بأننى جوهرته المكنونة التى يخشى عليها من قسوة هذا الزمان، ومن قد ترفض أن تكون جوهرة نفيسة باهظة الثمن، سيقيد حريتى حتى لا أرى غيره، سيصور لى أن العالم غابة لا يسكنها إلا الوحوش الكاسرة التى لن ترضى عن اشتهاء لحمى بديلاً.

قرأت فى عينيه خطاباً جريئاً مفعماً بالأكاذيب والأساطير التى يروج لها، مفرداته تعبر عن شخصية مريضة بداء ترويج الإشاعات.

"انتِ أيتها الغالية حلم وردى مفعم بالحياة لجميع الوحوش والشياطين، أنتِ مرادهم من دنيا الفرائس.

عزيزتى أخشى عليكِ من أن تنتهكك أعين الغيلان وأن تهفو إليكِ شهوات الذئاب، خذيها نصيحة من ذئب عتيد تائب على يديكِ، لا تظهرى مفاتنك، اخفيها بل أطمسيها، ثم ادفنيها فى وحل من الملابس شديدة القتامة، لتستطيعى بعد ذلك أن تعيشى بعيداً عن النظرات المتحرشة المتوحشة الفاسقة.

كان يظهر عليه أنه متحرش قديم يرى أن التحرش رسالة سامية تهدف إلى ترويع الجنس اللطيف، لكى يخلق بيئة خالية من الإناث، لماذا تخرج النساء غلى المجتمع ويزاحمون الذكور فى لقمة العيش، هو صنف موجود ومنتشر انتشار النار فى الهشيم فيمن يدعى التدين الزائف .

أخذ يختلس النظرات إلى جسدى كما يفعل التاجر الشاطر عندما يعاين البضاعة التى يوشك على شرائها، ويتمنى أن يأخذ فرصته كاملة ليضع يديه عليها فيرى ويعاين بنفسه إن كانت تناسب طموحه كتاجر أم لا، ثم عاد إلى أفكاره التى تنتابه وتسيطر عليه، وقرر أن يُغلف رغباته داخل مجموعة من الوعود حتى يضمن سقوطى فريسة داخل شباكه العنكبوتية :

سأنزهك كلما سنحت لى الظروف، ستكونين قطتى المدللة التى تنتظر عودتى لأنزهها وأرفه عنها .

ستسعدين عندما تستقبلين بشائرى وستجلسين فوق عرش مملكتى المهجورة، ستسكنين قاع حياتى، وما القاع إلا الأساس الصلب المتين للقمة .

لا يعلم بأننى قرأت العنوان الذى يفضح مايستره؛ فقد حاول أن يقنعنى بأن بيته هو جنة الخلد، وأن جهنم تنتظرنى خلف باب بيتى الموصد، وأن اللهيب ينتظر قدمى الرقيقة خلف الأبواب والشبابيك المغلقة وعلى

الزوجة المطيعة ألا تقربهم، أكد على أنه لا يجوز أن تفتح الزوجة باباً أغلقه زوجها بيديه، عليها فقط أن تتعامل وكأنها أميرة تجلس فوق عرش الصمت.

كانت نظراته تفضحه، وتشى بحديث نفسه لنفسه، كانت نظراته كنظرات ذئب جائع يستقل حافلة من حافلات النقل العام ليصطاد فريسة سيئة الحظ أوقعها حظها العاثر بين أنيابه، قرأت فى عينيه مالم يحاول أن يخفيه ولو من باب احترام صاحب البيت.

سأمتلك أنفاسك الشهية، يبدو بالفعل أن أنفاسك شهية، الكتاب يظهر من عنوانه وعنوانك يشير إلى أنثى من إناث الحور العين التى ضلت طريق جنتها ووقعت على الأرض لأفترسها أنا المقبول التوبة بعقد زواج، أنا المحظوظ الذى يأتيه الحظ على طبق من فضة دون الحاجة إلى البحث عنه، فأنا لم أفعل شيئاً لأحصل على تلك الحورية الشديدة السحر، غير أننى طلبت من زميلتى فى العمل أن تبحث لى عن ابنة الحلال الرقيقة الهادئة بنت الأصول التى تستحق لقب زوجة الباشمهندس مراد الدماطى .

خطف مراد نظره الموجه ناحيتى واتجه بكامل جسده وفكره ناحية أبى ليوهمه بأنه شخص محترم لا يتلصص على الفتيات حتى لو كان على وشك الاقتران بهن، وأخذ رشفة طويلة مرتفعة الصوت، من كوب الشاى الذى بيديه، ونظر داخل الكوب متأملاً ليعاود تسلسل أفكاره العقيمة .

وقال لوالدى يحاول أن يثير أعجابه واقتناعه : أنا عندى شقة ثلاثة حجرات وصالة واسعة يرمح فيها الخيل، جاهزة من كافة الأشياء لا ينقصها غير الأثاث الذى تختاره العروسة على ذوقها بعون الله.

تخيل بحدس التاجر الماهر أنه عمل ما عليه وأقنعهم بنفسه كعريس لقطة، وقرر أخيراً أن يعطيهم نبذة عما يرغب فى فعله مع عروسته عندما تصبح زوجته : أيوه ياعمى لكن شرطى الوحيد لكى تكتمل الزيجة أن تترك عملها فى الصيدلية بصفة نهائية لا رجعة فيها، فأنا لست من أنصار عمل المرأة.

هنا استلمت أنا "العروسة الخجولة" أطراف الحديث وقلت له :

من قال لك إننى أبحث على سجان يأسرني، أنا أرغب فى زوج وشريك يحترم جميع رغباتى ومنها تمسكى بعملى، أنا ند ولست تابع لسعادتك.

ثم أكملت : خد طبق حلوياتك معك واذهب لتشترى جارية من سوق الجوارى، من كتب التاريخ، أنا لا أقايض حريتى بطبق حلويات وشقه تلات غرف وصالة.

ثم نهضت من جلستى ودخلت لأفتح التلفاز لأتابع أحداث المسلسل التركى الرومانسى دون اكتراث بما سيحدث بعد ذلك.

تعلم إيمان أنها تخلصت من سجان لتنتظر آخر، قد يكون سجاناً أيضاً، ولكنها اليوم تشعر شعور من قامٍ بثورة على أوضاع كانت ستُفرض عليه دون إرادته، وغداً ينتظرها ثورة جديدة مع عريس جديد، سترفضه أيضاً إذا حاول أن يضعها فى قفص للعصافير ليمنع جناحيها من حقهما فى ممارسة الطيران، إيمان صديقتى لا تمانع أبداً فى أن تحصل على لقب عانس على أن تهب نفسها لفارس لا يمتلك من أخلاق الفرسان إلا رأس فارغة .

obeikandi.com

البحث عن حنان

لـو تقـرأون يومـاً كلمـات صديقتـى حنـان لذابـت قلوبكـم ألمـاً مـع صـدق معاناتهـا، ورغبتهـا الصادقـة المُلحـة فـى القليـل مـن حنـان واهتمـام الـزوج، كانـت دائمـاً تكتـب أنهـا حزينـة أو تعيسـة أو تشـعر أنهـا مُهـدرة الكرامـة أو تشـعر أنهـا فـى المكـان الخطـأ فـى التوقيـت الخاطـئ.

حنـان امـرأة ثلاثينيـة، لـم تضـع إلا صـورة واحـدة لنفسـها، ترتـدى فيهـا ملابـس موضتهـا قديمـة، لا تسـاير العصـر، ملامحهـا هادئـة وابتسـامتها عذبـة، وعينيهـا تحمـل حزنـاً دفينـاً، وحكايـات تنتظـر مـن يدخـل يديـه فيهـا لينتشـلها مـن الضيـاع، لـم تنشـر حنـان لنفسـها صـوراً جديـدة تعبـر عـن تطـور شـكلها، يبـدو أنهـا لـم تعـد تهتـم بالتقـاط صـور لنفسـها منـذ فتـرة طويلـة .

كنـت أتابـع صفحتهـا لأتعـرف علـى مشـاعرها مـن بعيـد حتـى تغيـرت كتاباتهـا مـن حزينـة إلـى تشـعر بوجـود أمـل، أمـل ؟! أخيـراً زار الأمـل حنـان بعـد طـول انتظـار، كـاد قلبـى يقـف مـن الفـرح لسـعادتها فقـررت أن أطمئـن عليهـا وأهنئهـا

وأعرف منها سبب أحزانها ثم السبب فى ميلاد أملها .

دخلت لأحادثها فى البريد الشخصى وراسلتها وتعرفت عليها حتى ارتاحت للحديث معى وأخذت تحكى وتسرد ما تعانيه وما تلاقيه .

كتبت لى حنان: صدى كلماتهم يتردد داخل وجدانى المذبوح، أتذكر أمى وهى تقول لى : جوازنا جواز مسيحيين، ماعندناش حاجة اسمها طلاق .

وأتذكر كلام أبى وهو يقول لى : جوزك أحسن من غيره عيشى يابنتى وخلاص.

أما حماتى فكانت تنهرنى فى كل مرة أشتكى فيها من ابنها وكأنها ترغب فى أن تشعر بأنها ليست الوحيدة التى أصابتها لعنة الزواج من شخص عنيف، متبلد الأحاسيس.

فكانت تردد دومًا على مسامعى : أنتِ مش أحسن منى، أنا جوزى الله يرحمه كان بيمسينى بعلقة ويصبحنى بعلقة، أنتِ فاكرة نفسك بنت بارم ديله، مشكلتك إنك عايشة فى دور برنسيسة .

كان جميع من حولى يرون أن جميع من ينتمى لجنس الرجال قد خضعوا لنفس الميكروب الذى يجعلهم كائنات ماتت داخلهم الأحاسيس والمشاعر الطيبة، لذا كانت شكوتى تُقابل بردود فعل غليظة تلقى اللوم على أفعالى أنا، فأنا فى نظرهم زوجة لا تحتمل طباع الرجال، وأننى

لن أستر فى أى زيجة قادمة حتى لو تزوجت من كائن أسطورى يفكر بقلب امرأة ويعيش فى جسد رجل.

الطلاق أمره هين بالنسبة لى؛ فأنا زوجة مستقلة مادياً، أعمل لأعيش وأنفق، وأساعد زوجى فى مصاريف المعيشة، ولكننى مازلت أسيرة لمجتمع يجرم من تحصل على لقب مُطلقة، ويسن سكاكينه الموجعة ليذبح مشاعر امرأة قررت أن تنهى حياة علاقة فاسدة تمنحها هواءً فاسداً يتسبب لها فى حالة من الاختناق قد تودى بحياتها.

استمررت فى الحياة مع زوجى رغم أن هناك شروخاً لم يستطع الزمان أن يفعل لها شيئاً غير أنه عمقها وزادها اتساعاً .

وكان زوجى فى المقابل لا يستشعر برجولته معى إلا إذا قام بطقوس همجية بدائية خاصة ليحجب عنى جميع الفرص التى تؤدى إلى النذر اليسير من السعادة والرضا، كنت أغرق فى بركة من حزن آسن ولا أرى فى الأفق أى طوق للنجاة، أستسلم أحياناً لحزنى وأقاوم أحيانا أخرى، ولكننى لم أصل أبداً إلى مرحلة الثورة العارمة التى تستطيع الانقلاب ضد واقعى المؤلم أو تغيير حالتى إلى حالة أفضل.

نعم ينقصنى الحنان والاهتمام والإحساس بالأمان.

كانت هناء أقرب صديقاتى إلى قلبى تقول لى دائماً: أسمعى منى كلامى واحفظيه عن ظهر قلب لعله ينفعك، لا يوجد فى هذا الكون رجل حنون، جميعهم يبحثون عن متعة الجسد وعندما يحصلون على مرادهم سيلقون بكِ عند أول مُفترق طرق يقابلهم.

الحياة تسير برتمها المعتاد، أتعايش مع كونى زوجة عاملة، أعتبر فترة عملى فرصة ذهبية للتريض بعيداً عن جو الحرائق الخانق الذى أعيش فيه مع زوجى، كان عملى هو المتنفس الوحيد الذى أهداه لى القدر لأتنفس بعيداً عن مستودع القسوة الذى أعيش داخله.

أصبحت أستاذة فى إخفاء علامات الضرب عن جسدى من أثر كفوف زوجى التى لا ترحم توسلاتى وآهاتى وأنوثتى المكلومة، كنت أذهب مبكراً إلى العمل لكى أُلملم حزنى وتهطل عيناى دموعاً أختزنها لنفسى وحدها، فنفسى فقط هى التى تعرف أبعاد مآساتى وهى التى تواسينى وتتقبل منى الشكوى دون تذمر، ودون إلقاء وابل من العتاب واللوم على ضحية لا حول لها ولا قوة.

وفى أحد أيام الشتاء القاسية، جاء زميلى مبكراً عن موعده لينهى بعضاً من أعماله المتأخرة، ظهرعاصم فجأة كالشمس فى يوم ممطر رمادى اللون غائم الملامح، وجدنى أبكى على مكتبى وأضع يدى على خدى ذى العلامات الزرقاء من أثر اللطمات، اقترب

obeikandl.com

منى وأبعد يدى عن خدى، ليرى بنفسه مافعله بى ذلك الوحش الكاسر، جلس يبكى معى جراحى ويمسح دموعى بأصابعه الرقيقة، ويتلمس خدى قائلاً: مين المتوحش معدوم الضمير اللى عمل فيكِ كده؟

كانت دموعى سيولاً لا تنقطع ينابيعها، آلامى عدوى وباء لم يخترعوا له علاجاً بعد، وزميلى عاصم تعرض لعدوى تلك الآلام، فتشقق قلبه من قطرات أحزانى المتساقطة واحتضننى بقوة ليخفف عنى، فزالت عنى آلامى، وزارت وجهى ابتسامة غريق وجد أخيراً شطاً عليه الكثير والكثير من الحنان.

يالهم من كاذبين مازال فى الجحيم بعض من حنان، لماذا يكتفون بالحقائق المفزعة ويدفنون الأمل تحت التراب.

قلت لها بعد طول صمت : عزيزتى حنان، وماذا بعد؟

صمتت حنان قليلاً وقالت لى :

عزيزتى وماذا يكون بعد الحب إلا بعضاً من الذكريات العذبة والكثير من الأحزان، أعلم أنه سيغرقنى فى أحزانى بعدما ينتهى من حبى، ولكن لهفتى تدفعنى للبحث عن قصة حب أعيشها، ونبضات خارقة للصمت أسمعها، اليوم لن أتقبل العتاب أو اللوم، لا تلومينى لأننى قررت أن أعيش قليلاً.

قلت لها :عزيزتى حنان، ألا تخشين من تأنيب الضمير؟

قالت لى : لقد أعطيت لضميرى مهدئاً قوى المفعول لكى يصمت عن تأنيبه وينام فى ثُبات عميق، ماذا فعل لى ضميرى من قبل؟ هل حمل عن عاتقى اللطمات؟ هل جعلهم يفهمون أن الحياة مع زوجى أصبحت مستحيلة، أنا أحيا معه فى المستحيل.

نعم اختارت حنان الحرام لأن الطلاق فى عرف أهلها عيب، فضلت أن تغضب ربها حتى لا تغضب المجتمع، فرب العباد مسامح كريم، أما العباد فلن تسلم من ألسنتهم الحادة، ولن تجد لديهم القليل من الرحمة، وستنبهر بعدد الواعظين والمتدينين الذين سيظهرون فجأة ليعيبوا عليها الطلاق لو قررت الطلاق.

opeikandl.com

لأن بداخلها أنثى

كريمة امرأة خمسينية تخطو بخطوات ثابتة نحو الستين، لا تهتم كثيرًا بالتواجد على الفيس إلا لتضع بعضاً من ألبومات صور الأبناء فى مراحل مختلفة من العمر، ومناسبات مختلفة، فقد التقطت لهم بعض الصور وهم يرتدون ملابس المدرسة فى بداية عام دراسى جديد، وصورا أخرى لهم وهم يبدأون تدريبات السباحة، وصورا أخرى لابن من أبنائها وهو فى تدريبات التنس، وصور وضعتها أخيراً لأيام تخرجهم ثم صورًا أحدث لأفراحهم، كانت كريمة لا تظهر فى صورها، تلعب دور الجندى المجهول الذى لولا وجوده لضاع الأمن والآمان، لها ثلاثة صور تظهر فيهم شخصياً.

واحدة ليوم زفافها البعيد، تظهر فيها كأنثى فاتنة ترتدى فستان على آخر صيحة يوم عرسها فى ذلك الزمن البعيد، والأخرى ليوم تخرج الأبناء وكأنها بدأت تظهر فجأة فى الصورة بعد طول إنكار للذات والحقوق، كان تحولها من شابة جميلة إلى امرأة عجوز وكأنه حدث فى

obeikandl.com

قفزة زمنية واحدة، ومابينهما تفاصيل مملة وحشو زائد فى حياة كريمة لا داعى للتطرق له، أما الصورة الأخيرة التى ظهرت فيها كريمة على صفحتها على الفيس بوك والتى التقطت لها مع زوجها فى فرح أحد الأبناء، نعم إنه زوجها الذى ظهر فى أول صورة لهما فى زفافهما ثم ظهر فى صور فرح الأبناء أخيراً ليتلقى التهانى، زوج مهمته الرسمية هى تلقى التهانى فقط، عدا ذلك فجميع صورها لأطفالها تدل على امرأة وحيدة ليس فى حياتها رجل، أفنت عمرها فى تربية الأبناء دائماً تخبرنا عن مدى فخرها وسعادتها بأبنائها وإنجازاتهم التى اعتبرتها إنجازاً شخصياً لها.

أخذت أتجول فى صفحتها الفارغة إلا من بعض العبارات المقطبة لامرأة مشغولة دائماً، والتى تدل على أنها لم تنشئ صفحتها على الفيس بوك إلا من أجل مراقبة الأبناء عن قرب.

حاولت كثيراً أن أقترب منها، فهى بالنسبة لى ولغيرى من السيدات أم فاضلة، الأم النموذج الذى نطمح جميعا لنكون مثله، أم قادت سفينة الأبناء حتى رست بها على بر الأمان.

اقتربت بالفعل منها، وعرفت عنها الكثير وعرفت ما حاولت أن تطمسه كثيراً من معالم أنوثتها وأحلامها وطموحها، التى اختفت جميعها تحت سيطرة طموحات الأبناء.

عرفت أنها ستبقى كما هى أنثى لها قلب من ذهب ..تعشق من يوليها اهتمامه.، ترغب فى أن تكون محور حياة رجل يعشقها، يلقى الدنيا بين كفيها ولا يرحل، ينام داخل أحضانها فيشعر بدفء الأوطان.

كانت كريمة زوجة مع وقف التنفيذ لما يقرب من عشرين عاماً ..زوجها على قيد الحياة ولكنه مشغول دوماً بطموحاته التى لا تنتهى فى كنز نقود تأتى وترحل سريعاً.. فضل أن يحيا بعيدا عن قلبها وسكن أحضان أخريات يشبعن غريزته كرجل..ويطلب منها انتظار من لا يهتم، لأنها فى نظره أنثى بلا رغبات، أنثى فى مرتبة أم فقط، تستطيع أن تسيطر بسهولة على غرائزها كاملة بلا مساس...سافر كثيرا وانتقل بحكم عمله كمهندس بترول من دولة عربية إلى أخرى، كان يختار الدولة التى تقدم له الحرية الأكثر حتى أستقر فى دبى، دولة عربية بنكهة أوروبية متحررة.

وطارت سنوات العمر كطيور جارحة لا تهدأ ولا تستقر ...حتى وصلت كريمة إلى الستين من عمرها..اختطفتها السنوات وتربية الأبناء من نفسها ومن أنوثتها..حتى استيقظت يوما على كابوس أزعجها...إنها تجاعيد وجهها التى انتشرت كانتشار النار بفعل غاز متطاير سريع الاشتعال، تجاعيدها حفرت أخاديد ووديان وأنهار داخل خارطة وجهها فغيرت تضاريسها ...أخذت تتحسس وجهها وتبكى وكأنها لم تنظر فى المرآة لسنوات عديدة :

كيف لعب الزمن لعبته الدنيئة على وجهى ..رسم خطوطا وأخفى بخطوطه علامات الشباب ..ونسى أن يضع خطوطه داخل قلبى الصغير..ترك القلب يلعب فى سن الناشئين والوجه وجه الكهول، من حق زوجى بالفعل أن ينظر إلى امرأة غيرى بعد أن أصبحت حطام امرأة..نعم يقول لى كثيرا إننى محبوبته الوحيدة ولكننى لم أعد أصلح لأكون أنثى فكيف بكونى محبوبة له.

ياله من كاذب...لقد كبر الأبناء وكبرت معهم ودخلت فى عمق سنوات الكهولة..يا لنكبتى ووحدتى متى سأحيا فى حضن رجلا يحتوينى ويحمل عنى بعضاً من أحزاني.. هل أنتظر حتى أرحل عن الحياة حتى أحصل على حقوقا أغفلها زوج لا يهتم برغباتى المشروعة ...

واحسرتاه على عمر ضاع.

يا إلهى متى ظهرت تلك التجاعيد الخبيثة على وجهى الصبي؟!

هل ظهرت بين ليلة وضحاها؟!

هل رسمها فوق وجهى جنى صغير يمسك بقلم سنوات العمر ليلهو به؟!

متى حدث ذلك؟!

لا أدرى غير أننى لا أعلم شيئاً.

استيقظت كريمة من غيبوبتها لتجد نفسها اماً لثلاثة أبناء تزوجوا جميعاً وتركوها وحيدة تلملم صورهم وصور أبنائهم الصغار وتضعها على حوائط منزلها المسكون بأشباح الذكريات ..أرادت اليوم ان تكون أنثى ..قررت أخيرا أن تنزل للمول القريب من بيتها المسكون بأشباح سنواتها الضائعة، فى المنطقة الراقية لتشترى ملابس جديدة تعبر عن امرأة تبحث عن حياة مفعمة بالألوان بعد أن دفنت نفسها داخل ثوبا واحدا أسود اللون لا يتغير ..أخرجت صورها وهى بعد صغيرة السن وجلست تتحاور مع حسرتها وتبث صورها القديمة آلامها وحزنها الذى سطع على السطح بعد شهر واحد من زواج ابنتها الصغرى وانتهاء دورها كأم مشغولة بحنانها وأطفالها ومشاكلهم الصغيرة منها والكبيرة ..أطفالها لم يعودوا أطفالا وأصبحت أجنحتهم تقوى على حملهم بعيدا عن عشها، رحل الصغار وتركوها .

وفى أحد أيام وحدتها قررت أن تتصل بزوجها وتطلب منه حقها هى الأخرى فى الرحيل عنه وعن قفصه الذهبى الموحش وطلبت منه صراحة الطلاق. ..نعم تطلب الطلاق وتعتبر طلبها تأخر عشرين عاماً. ..أخبرته أنها تعلم عنه أدق أسراره، فهو ليس قديساً كما كان يدعى، ولكنها كانت تخفى حقيقته حتى لا تهتز صورته أمام الأبناء، هو رجل اتهمته كثيراً بالنجاسة وحب النساء..هو لم يحرم نفسه من متعة احتضان أنثى والتوغل فى أعمق أعماق

أسرارها، لم يضحِ سوى ببعض المسئوليات التى كانت تقع على عاتقه، وغَاب عنها مع وضع ثلاثة صغار معها ليراقبوا تصرفاتها ...كانت تتفانى معهم، تصرخ دموعها أحياناً، ولكنها كانت تمسحها وتستعيد طريقها المرسوم لها بدقة..اليوم استيقظت بعد فوات الأوان على صرخات أنوثتها الجائعة تحت سواد ملابسها ...أخذ زوجها يضحك ويمازحها ويسخر من نوبة صحيانها المتأخرة.

وسألها : لماذا الآن؟

أخذت تستثير رجولته المهاجرة وتخبره عن نزواتها بينما كان هو غائبا...أخبرته عن سليم وأحمد وإبراهيم ..الذين مروا على حياتها من خلال تليفونات ليلية تستثير فيها نبع الأنوثة المتفجرة الذى كان يضخ سوائله فى جسدها، ثم أخذت تذكره بمكالماتها له لكى تتسول منه الحب والاهتمام والإحسان، وكلمات الحب التى أصبح يضن عليها بها رغم صراخها المتعطش لبعض من حقوقها المؤجلة ...مؤجلة إلى متى؟ ..ليس فى العمر بقية، ذكرته بحججه الواهية وانشغاله عنها حتى بعد أوقات عمله الرسمية، صرخت فى هاتفها : طلقنى لكى أستطيع أن ألتحق بآخر قطار الحب الحلال ..اتركنى لكى أحيا أخيراً.

اتركنى أرجوك.

..كان يستمع فى ذهول لبئر ظل مردوما لسنوات

..وعدها أن يعود ...رفضت وعوده كاملة ...يازوجي المؤجل لا لن تعود لأنك لن تجدني في انتظارك، أنا على موعد أخير مع الحياة، لا بديل عن الطلاق ..وأغلقت الهاتف في وجهه، وكأنها صفعته على وجه رجولته بعد أن أدمى أنوثتها كثيرا، وهي تسمع عن نوادره وتعدد علاقاته النسائية بلا أدنى مراعاة لمشاعرها ..حاول أن يستثير أبناءها ضدها ولكنهم على غير المتوقع وقفوا معها ضده ..وطلبوا منه أن يرضخ لطلبها الذي تأخر كثيراً رغم أنه طلب مشروع مع من يضن عليها حتى بمكالمة تليفون .، ولأنهم عاشوا معها دموعها ووحدتها، وقفوا معها وأقنعوه أن يطلق سراح أنوثتها.

وأطلق سراح أنوثتها وفجأة اختفى الغبار من على صفحتها على الفيس وبدأت تظهر كريمة في صور جديدة خاصة بها، صور ليس فيها أبناؤها، بل صور لامرأة تبحث عن شغف جديد يملأ حياتها، انتهى شغفها بالأبناء، وبدأت مرحلة جديدة من حياتها، وبعد سنتين من متابعتي لها بعد طلاقها واستقلالها فوجئت بنعي وضعه أحد أبنائها على صفحتها: «انتقلت إلى رحمة الله أمي المغفور لها كريمة عبد المجيد عن عمر لم يتعدى عامين فقط من الحرية، ماتت من تركت الدنيا لتحيا فينا، ماتت كريمة وهي تبحث عن حب يملأ حياتها الفارغة ولكنها لم تجده لعلها تجده في الفردوس الاعلى».

عريس لُقطة

تجذبنى صفحة علاء كثيراً، يقترب عمره من الستين، ولكنه فى نظرى شاب صغير السن، فبعد أن تذوق كأس الحب الذى حصل بفضله على أكسير الشباب الدائم، لو كانت الرومانسية دولة لحصل علاء على منصب الرئاسة فيها بدون أن يتكبد عناء الانتخابات، دائما يتكلم عن قصة حبه التى كللها الزواج، صفحته بالنسبة لى واحة مزروع فيها شجر وارف الظلال من العشق والجمال، تجذبنى الصور التى تجمعه بزوجته وأم ابنته الوحيدة، منال، محبوبته الأبدية، ففيها تتطاير شظايا العشق مخلفة نظرات العاشقين، عندما تحدث بينهما مشاكل زوجية عادية، يرسل لها على صفحته اعتذاراً رسمياً عما بدر منه، قال يوما فى اعتذاره :

محبوبتى كيف أنام ونفسى غاضبة من نفسى، فأنتِ منى وأنتِ نفسى، ياأنا فلتقبلى اعتذارًا رسمياً منى على يد شهود، سأظل أحبك حتى يصبح جسدى غذاءً لديدان الأرض.

obeikandl.com

ثم جاءه الرد من محبوبته سعاد، وكأن استعدادها الفطرى للتصالح يدفعها لمراقبة صفحته.

زوجى وحبيبى ورفيق أحلى أيامى، أنت لا تحتاج إلى تقديم أى اعتذارات رسمية لأغفر لك، يكفيك أن تقول لى، ياسوسو فأرضى وأضحك وأغفر وأرتمى بين أحضانك راضية.

وفى يوم من الأيام كتب صديقى العزيز علاء كلاماً غير مفهوم جعلنى فى حيرة من أمرى، فقد كتب يقول : ليس بالحب وحده يحيا الإنسان، الحب لن يطعمنا خبزاً، ولن يستطيع أن يوفر لنا مسكناً، الحب لن يصنع لنا وطناً نستظل تحت راياته، الحب مجرد كلمات لا تسمن ولا تغنى من جوع.

من هذا الذى يكتب ؟!

هل سُرقت صفحة علاء منه؟!

كيف طاوعه قلبه ليكتب مثل تلك الكلمات؟!

هل فقدت أيقونة الحب قدراتها السحرية فى قلوب أقدم العاشقين على وجه الأرض؟!

أأصابت علاء لعنة عيون الحاسدين الذين لم يتذوقوا يوماً طعماً رائقا مستساغاً فى الحياة؟!

راسلتُ علاء بصفة شخصية وأخبرته عن شكوكى فى أن صفحته قد تمت سرقتها، فقال لى: لا لم تُسرق صفحتى منى، بل عدتُ إلى صوابى، وحكمت عقلى، طلبت منه أن يحكى لى، فحكى لى بالتفصيل وكأنه ينتظر طرفا ثالثا ليخبره أنه على صواب، ويبدو أنه يظن أننى شخصية عقلانية ترفض إعطاء القلب مقاليد الحكم، حيث إننى قد كتبت يوماً على صفحتى: "إن القلب عضو غير ناضج لا يؤتمن على مصير جسد كائن يمتلك عقلاً كعقل الإنسان".

اعتبر علاء رأيى المحايد قشة يتعلق بها ليحتمى من وخزات ضميره المتذبذب وأخذ يسرد أبعاد قصته :

لن يتحطم قلبها إذا تركت من تحب، الحب وهم جميل، ولكنه سيظل مع ذلك مجرد وهم، يغيب مع حضور متطلبات الحياة ومنغصاتها التى لا تهدأ ولا ترحم ولا تدع للحب مجالاً للاستمرار، الحب والزواج لا يجتمعان، هكذا علمتنى الحياة.

لقد أخذت قرارى بأن أخبرها أننى أباعد بينها وبين حبيبها لأننى أبحث عن مصلحتها هى فقط، فأفضل لها أن تحصل على ذكريات لا تفنى من أن تحصل على واقع يطعن الذكريات فى مقتل، لن أدعها تتزوج من زميلها فى الكلية حتى لو هددتنى بالانتحار كما فعلت أمها من قبل مع أهلها لتتزوج منى، قررت أن أجلس معها وأفعل

مالم يفعله جدها والد أمها مع ابنته "سعاد" التى هى زوجتى، فعريس جاهز بدون حب أفضل من حب يطير كالدخان مع أول مشكلة من مشاكل الزواج، سأحفظ لها ذكرياتها دون مساس.

أعلم أن ابنتى قد لا تتقبل منى نصيحتى لها وخاصة أننى متزوج بدافع الحب قبل المادة، ، نعم لقد تقدمت لأهل محبوبتى مرة واثنتين وثلاثة حتى حظيت بموافقة أهل عروستى أم منال "مصدر سعادتى المتجددة على الدوام"، ولكننى قررت أنه لا ضرر من المحاولة لعلها تصيب وأستطيع أقناعها بالعريس الآخر الذى يرغب فى الزواج منها، والذى يملك من متاع الدنيا مايجعله عريساً لقطة لأى بنت فى سنها، "عريس جاهز"

وبالطبع باعزيزتى أنا وحدى من يتبنى تلك النظرية، أما زوجتى سعاد فكانت سعيدة لأن ابنتها استطاعت أن تدخل بقدميها جنة العشاق، وأن تكلل قصة حبها بالزواج المُنتظر، هى على يقين من قدرات الحب الخارقة على التخلص من أى خلاف ينشب بين الزوجين، والخلافات الزوجية لابد منها فى أى حياة زوجية طبيعية، وكم انتهت زيجات غاب عنها الحب وتوافرت فيها النقود والظروف المعيشية الجيدة.

obeikandi.com

جلست مع زوجتى أولاً لأستعد للمواجهة الكبرى مع قلب ابنتى العاشقة، سأجرب قدراتى الإقناعية مع زوجتى وحبيبتى التى تستمع لى جيداً، وكثيراً ماتتبنى وجهات نظرى حتى لو لم تكون مقتنعة بها فى بادئ الأمر.

قلت لها : بنتك جايلها عريسين واحد لسة متخرج وفى سنها وخريج نفس كليتها وطبعاً لسة طريقه طويل وممكن مشاعرهم تتغير وتقعد مستنياه وفى الآخر مايتجوزوش، والتانى جاهز من كله ومهنته محترمة وعنده شقة واسعة وجاهزة ومش هندفع فى جوازتها حاجة، انتِ إيه رأيك؟

نظرت زوجتى داخل عينى لتبحث عن ذاك الرومانسى الطيب الذى تزوجته وعاشت معه عمرها كله، عن حبيبها الذى لم يرضخ لرفض أهلها له، الذى كان جاراً لها يسير خلفها فى الشارع ليضع فى يديها قصاصات من الورق زينها بأشعار كتبها بنفسه لها، ماذا فعل له الزمن، لماذا يرفض أن تعيش أبنته قصتها وتنهيها بالصورة التى ترغب هى فيها.

قالت لى بعد أن رمقتنى بنظرة فيها جميع علامات تعجب الكون : خليها تعمل اللى هى عاوزاه ياحبيبى .

يالها من ماكرة فقد زيلت كلامها بكلمة حبيبى لعلنى أتذكر أننى آخر واحد فى الكون يصح له أن يتكلم بهذا المنطق العادى الدنيوى المادي.

قلت لها : احنا أكبر منهم ونفهم مصلحتهم اكتر منهم .

قالت لى : لأول مرة من يوم ماتزوجنا أحس انى مش عارفاك، انت مقتنع بالكلام دا فعلا ؟

قلت لها : طبعاً دى بنتى وانا خايف على مصلحتها اكتر منها ومنك.

فقالت لى : ارجوك بلاش تجرح قلبها سيبها تختار زى ماحنا اخترنا وصممنا ونفذنا.

قلت لزوجتى : وعشان احنا نفذنا لازم نفهمها ان الحب لوحده مش كفاية.

ثم غرقت عيناها فى بحر من الدموع، تألمت لأننى أنكر عليها حسن عشرتها واحتمالها لجميع ظروفى واحتمالها لى عندما كانت تضطرنى الظروف المعيشية للعمل فى عملين لنستطيع أن نعيش فى مستوى يليق بها.

قالت من بين دموعها : بس أنا كنت سعيدة معاك رغم فقرك ورغم انك ماكنتش عريس لقطة.

قلت لها وأنا أحاول أن أصبح أكثر واقعية فى زمن يقدر الماديات : انا مش عاوز بنتى تتبهدل ذى ماانتِ اتبهدلتِ نسيتِ ازاى كنتِ بتجرى على الدكاترة بالعيال لوحدك لأنى كنت على طول غايب.

قالت لى : أنت اللى بتنسى خناقاتنا بيبقى شكلها عامل ازاي؟ بتنسى أنك بقطعة شكولاتة ممكن تصالحنى لأنها بتفكرنى بالشكولاتة اللى كنت بتديها لى واحنا صغيرين، نسيت لما كنت بأولد أطفالى كنت بأبقى سعيدة ازاى لأنهم قطعة منك، بتنسى اننا عندنا حكايات نحكيها لاولادنا واحفادنا بعد كدة، نسيت دواوين الشعر اللى كتبتها فيا واللى لحد دلوقتى بتقراها ليا فى اعياد جوازنا، ليه عاوز البنت تسيب صفحتها القديمة و تبدأ صفحة جديدة مع واحد ماتعرفهوش وهى عندها اللى عارفاه وحافظاه وفاهماه.

قلت لها : الزمن اتغير، الماديات بقت أهم من الحب والعشق والكلام الفارغ دا.

قالت لي: ممكن تعرفنى بيك، مين بيكلمني؟ أنت متأكد أنك فى وعيك، الحب دلوقتى كلام فارغ؟

قلت لها : أنا نفس الشخص ولكن تحت تأثير العقل لا القلب الذى لم ينضج بعد.

قالت لى : أنا لم أتزوج من علاء صاحب العقل المسيطر، أنا تزوجت من علاء صاحب القلب الحاكم بأمره والذى يعجبنى كثيراً فى لحظات ضعفه قبل قوته.

قلت لها : ليّ عندك طلب واحد بس ياريت تنفذيه عشان خاطرى ؟

قالت لى وقد رضخت لرغبتى اضطراراً : أمرى لله، عاوز منى إيه؟

قلت لها : سيبي لى البنت أتكلم معاها يمكن أقدر أقنعها بوجهة نظرى .

قالت لي: عموما هى لو اقتنعت بكلامك يبقى حبها له مش حقيقى، أنا قايمة أنام.

قلت لها : من فضلك عدى على منال وأخبريها انى عاوز اكلمها شوية.

دخلت منال حجرة المعيشة حيث أجلس، فتاة رقيقة الملامح، مسالمة، مطيعة، تعشقنى وترى فى شخصيتى نموذجاً للرجل الصالح، المحب لبيته ولأبنائه، تتمنى أن تتزوج بشاب يشبهنى فى الطباع كثيراً.

وبالفعل أخبرنى علاء أنه جلس مع ابنته العروسة الجميلة ليقنعها بوجهة نظره، فى أن المادة تغنى عن الحب، وأن الراحة المادية تغنى عن المشاعر التى تتغير مع مرور الزمن والعشرة، ولأن منال ليست من النوع المقاتل كما كانت أمها، لم تجادل كثيراً، ابتلعت صدمتها فى وجهة نظر من عاش عاشقاً أبديا لأنثى لا تشيب فى نظره، والتى يراها دوماً ملهمة قصائده، حبيبته التى كتب فيها أبيات وأبيات، وبنى معها قصوراً وردية داخل جنان الأحلام، كان لذهولها وقع أخرس لسانها عن

الاستماتة فى الدفاع عن حقها فى أن تتزوج ممن تحب، قررت أن تخبر حبيبها بما حدث وتقنعه بأن يزور أباها ويقنعه هو بنفسه وباستحقاقه لها.

أنهت منال كلامها مع أبيها بوعد حقيقى منها فى التفكير دون إدخال قلبها فى هذا الحوار، فالقلب لا عقل له ودائماً مايكون مسئولاً عن الخيبات والصدمات والقرارات الخاطئة، منذ متى والقلب يفكر، هذا الأرعن الصغير كالطفل يتشبث بدميته، يصرخ إذا أخذوها منه ويركل الأرض بقدميه إذا خافوا عليه من الجراح، فلماذا تعطى لهذا الساذج ادوار البطولة فى حياتها.

دخلت حجرتها وجلست تتخيل نفسها مع آخر غير حبيبها، استبعاد الفكرة أرهقها وجعل عيناها تفقد مافيهما من بريق، انطفأ البريق الذى تتميز به، اتصلت بحبيبها أخبرته بما دار بينها وبين أبيها وأبدت رغبتها فى أن يتولى هو حمل سلاح الإقناع والذهاب لأبيها ليقنعه بنفسه، كانت تبكى وهى تتكلم معه، أمها التى وعدتها بأن تتولى هى مهمة إقناع أبيها فشلت فى المهمة وانسحبت، يبدو أنهم وحدهم فى تلك الحرب، حرب الإبقاء على جنين الحب فى قلبيهما حياً، عليهما ألا يستسلما وأن يحافظا على حقهما فى أن يكونا معاً.

ذهب حبيبها فى اليوم التالى إلى عمل أبيها كناظر مدرسة خاصة، مستعيناً بملابسه المهندمة وأحلامه الكبيرة

وعشقه لمنال، أخبره عن تمسكه بها وبأنه لن يندم أبداً إذا وافق على هذه الزيجة، أخبره عن طموحه فى الحصول على عمل ثابت فى أحد الوزارات بمرتب جيد يستطيع به أن يبدأ حياته وأنهم لن ينتظرا إلا سنة واحدة حتى يستطيع شراء الأثاث وأنهم سيدخلان فى أحد الشقق المؤجرة إيجاراً حسب القانون الجديد، كان الأب يستمع بلا مبالاة، فقراراه حاضر وتراجعه غير وارد بالمرة، وبعد أن استمع لكلام الشاب الذى يشبه منال كثيراً فى طباعها، قال له : كل الكلام دا جميل بس منال اتخطبت خلاص، وكل شيء قسمة ونصيب، شرفتنى الشوية دول.

ثم نهض ووقف يودعه على باب مكتبه، وابتسامة باردة تعلو قسماته، ابتسامة استهزاء تنعى الوقت الذى ضاع مع شاب يعد ابنته بشقة مستأجرة، نسى بداياته التى يفتخر بها، نسى الصفر الذى بدأ منه مشوار الكفاح، لم يتذكر غير العريس الذى زغلل عينيه بإمكانياته الكثيرة.

وفى نفس المساء جاء العريس الموعود فى زيارة عائلية ليتعرف على عروسه منال، كان شاباً فى بداية العقد الثالث من العمر، وسيم الملامح، طويل ذو جسد رياضى متناسق، نجم سينمائى فى اختياره لملابسه، لقطة كما يقول الكتاب، يحمل فى يديه بوكيه ورد ضخم يبدو أنه دفع فيه مايعادل دخل شهر كامل لموظف كبير فى الدولة، ومعه صندوق صغير فيه خاتم من الذهب الخالص هدية لعروسه المقبلة.

دخلت منال بصينية الشربات، تصطحب معها خيبة أمل وحزن ويأس وغرام يسكنها ويرفض المغادرة، حبها كان يتآكلها حية، لا يترك لها سبيلاً للفرار، حتى زهورها التى زرعتها فى أصص الزرع داخل بلكونتها تئن مع أنينها، وحوائط البيت تصطبغ باللون الأسود القاتم تفاعلا مع آلامها، تحولت الحياة فى عينيها إلى حياة لا ترغبها، حياة ترفضها، كان السواد يتزايد حول عينيها، لم تتبين ملامح العريس جيداً وهى تقدم له كأسه من الشربات، لم تلمح وسامته المفرطة ولو لمحة عابرة، لم يزغلل عينيها بوكيه الورد رغم عشقها للأزهار، فقدت القدرة على الرضا بالمقسوم، الذى لم يصبح مقسوماً بعد، كيف تعطى جسدها لشخص وروحها مع آخر يعيش بعيداً عنها، كيف ستخون نفسها ومشاعرها، وتخون زوجها بإعطائه جسداً بلا روح، وقبل كل ذلك تخون حبيبها وتلقى نفسها فى أحضان آخر، كانت الأفكار تتصارع وتتقافز داخل عقلها، كل الأشياء تغيب عن عينيها، لم يبق من هذا العالم إلا بعض الخيالات العابثة ثم غابت الخيالات ولف العالم حولها دورة كاملة جعلها تغلق عينيها وتسقط على الأرض فى نوبة إغماء حادة احتاجت وقتاً مُقلقاً لتفوق منها.

وعندما أفاقت من إغمائها كان العريس الموعود قد اختفى من صالون بيتهم، فيبدو أن ضمير أبيها كان قد استيقظ أثناء غيابها عن الوعى، وصرف العريس بمعرفته، واتصل

بحبيبها الوحيد وطلب منه الحضور على عجل ليساعد فى التهوين على ابنته، استيقظت منال، وكان وجه حبيبها هو أول وجه تطالعه، فابتسمت ابتسامة كانت غائبة منذ أن رفضه أبيها، وعادت لها الحياة وبدأت الدماء تعود إلى وجهها الذى حوله الحزن إلى ليمونة صفراء باهتة مريضة، وأمسكت بذراع حبيبها لتتلمس طريق الضوء من داخل عينيه وتُلقى بحمولة أحزانها بعيداً فى قاع محيط من السعادة والأمل.

وبعد فترة غياب عاد علاء إلى أراضى الحب سالماً، واضعاً خبراته المزعومة عن الحياة جانباً حتى لا يفقد نور عينيه ورضا محبوبته، لعنة الله على خبرة تتسبب فى تحطيم قلبين هاما عشقاً.

فى جزيرة الأحلام الملعونة

وفى أحد الأيام الشتوية التى تتجمد فيها الدماء داخل عروقنا صنعت لنفسى فنجاناً من القهوة المظبوطة لأحصل على قسط وافر من نوبات الصحيان ووضعت أسطوانة لبعض أغانى فيروز التى تتسلل داخل أعماق الروح فتجعلها ترتقى إلى عالم آخر موازٍ، أخذت أدندن مع فيروز ثم أخذت أتابع أصدقاء صفحتى، وكأننى ملكة على عرش تتابع أخبار رعيتها وتطمئن عليهم، حتى وصلت إلى صفحة صديقتى شيماء.

شيماء امرأة خمرية اللون، جميلة الملامح، تتمتع بجسد تحسدها بسببه العديد من السيدات، دائمة الاهتمام بصفحات الموضة والأكلات، زوجة من طراز مرتفع، كما اعتقدت، تنشر على صفحتها العديد من صورها الشخصية مع زوجها وأبنائها الثلاثة، والتى تعبر عن أسرة مصرية سعيدة، كنت أظن أن أكثر مشاكلها ألماً هو ماذا تطبخ على الغذاء وفى أى مطعم سيتناولون غذائهم يوم الجمعة، وعلى أى شاطيء سيقضون أجازتهم السنوية، دائماً تشعر

بالرضا والسعادة والانسجام، كنت أعشق مشاهدة صورها لأرى كيف أن الشعور بالرضا قد يتجسد داخل ملامح مبتسمة ضاحكة مستبشرة.

حتى جاء اليوم الذى تحولت صفحتها إلى صفحة أخرى غامضة الملامح حين كتبت جملتها الغامضة والتى تخبرنا فيها عن فيلمها السيء الذى تعيش فيه: "أحياناً نعيش حياتنا وكأننا نشاهد فيلما سيء الإخراج والتمثيل.، نشعر معه أننا مجبرون على إكمال الفيلم للنهاية، رغم أنه فيلم رديء مبتذل، لأنه ومن قوانين دار العرض، إنه غير مسموح للمشاهد بالخروج من الفيلم قبل أن ينتهى .، فلتنزل ياتتر النهاية ولنكتفى بهذا القدر من العذاب".

أعرف عن شيماء الكثير، فوضوحها الأخير محى جميع ما كنت أتخيله غموضاً سابقاً، كلماتها واضحة وضوح الشمس، وأحاسيسها أصبحت لا تخشى أن تظهر للعلن بعد سنوات من الكتمان وإيثار الصمت.

تتحرك ذكريات شيماء بحثاً عن حب قديم كانت قد نسيت تفاصيله، لقد قررت فجأة أن تستعيد سعادتها التى كانت، الذكريات أخذت تتوالى على عقلها، سيول من الأفكار والنبضات أخذت تتوافد على كيانها المذبوح.

لماذا أخلصت لمن تخرج من داخل أكبر جامعات الخيانة؟ انتهى عهد الإخلاص التام، ستخلص لذكرياتها لعلها تجد

ما يحميها من هجوم طوفان عاتٍ من الأحزان التى لا تنتهي.

هنا تقابلنا لأول مرة، وهنا افترقت أحلامنا وخطواتنا لآخر مرة، وهنا تكلمنا كما لم نتكلم من قبل، يالها من ذكريات تأبى أن تُمحى، كيف تمحوها وهى مازالت تحتاج إلى مهدئاتها النفسية لتضع همها فيها، كان مخدرها الموضعى الذى كانت تلجأ له عندما تستشعر قسوة الزمن عليها، وكان بلسمها الشافى الذى تضعه فوق جروحها فينسيها كل الآلام والمشقة، أخذت وقتا طويلا حتى تسحب سموم حبه من جسدها، بدأت انسحابها النفسى من تحت تأثير حبه خطوة خطوة، نعم حدثت لها انتكاسة كبيرة عندما هاجمها حزن عميق ولجأت إلى ذكرياتها الجميلة معه، ولكنها بعون الإرادة والبعد استطاعت أن تتغلب عليه واستمرت رحلة العلاج، اليوم عادت رغماً عنها لتستعيد الذكريات المُنسحبة من جسدها، لن تحادثه فالحديث معه درب من دروب المستحيل، فهى زوجة وهو زوج، هى تعيسة، وهو سعيد، هى ذكرى بعيدة بالنسبة له، وهو حبها الأول الذى يعطيها دفعة لكى تعيش وتحيا، لن تقتل الخجل داخلها ستظل تلك الفتاة الخجولة التى يصطبغ وجهها بالأحمر كلما طل عليها بوجهه الحبيب.

تجلس وحيدة تتنفس ذكرياتها معه، لا تحاول أن تستعيده فهو ليس لها وهى ليست له، تحترم المسافة التى وضعها الزمان بينهما، تحترم اختلافهما، فبين قلبها

وقلبه طريق وعر وحفرات ملتهبة من الحمم البركانية المشتعلة وأصوات حزينة مخيفة لأنين جميع العاشقين، طريقهما مهجور ليس عليه إلا لافتة واحدة كُتب عليها "في اقترابك هلاكك وضياعي".

أوه إنها تعيسة.

تعيش حياة تشعر أنها ليست لها، تتعايش مع زوج أهانها أكثر من مرة، أراق كأس أنوثتها على كعوب العاهرات الفاسقات، جرح الإهانة جعلها تفكر في أن تستعيد حبها المُجهض، ولكن ضميرها خنجر مسموم الطعنات لا يهدأ ولا يرتاح.

حزينة لأنها كانت قد أمنت من غدر الزمان والأحباب، ولكن من ظنتهم أصبحوا لها أحباب باعوها عند أول إغراء يواجههم، وهي التي كانت تنأى بقلبها وعقلها عن أي ذكرى خبيئة تزورها، كانت ترفض أن تخون حتى ولو عن طريق التخيل والأحلام البائسة، ترضى بواقعها حتى لو كان مؤلماً فاجعاً، تزوجت من زوجها زواجاً تقليدياً، أحبت فيه حبه لها وإخلاصه لقدرهما معاً.

حذرها الجميع منه، هذا الرجل غير مناسب لكِ، أنت زهرة وهو عاصفة هوجاء تقتلع الأخضر واليابس هو حانوتي أزهار، أنتِ كتلة من الأحاسيس والمشاعر وهو كاذب مخادع، قالت لهم دعوني أجرب لعلني أستطيع

بقلبى وحبى الكبيرين أن أغيره للأفضل، كانت فدائية تعلن على تحذيراتهم العصيان والرغبة فى المجازفة غير المأمونة، سأكون له نعم الزوجة المخلصة وما جزاء الإحسان إلا الإحسان، كانت غبية عندما تخيلت أن حبها ورعايتها له ستغير من طباعه، وهو الذى شب وشاب على أخلاق مختلفة عن الأخلاق التى تعودت عليها، عاشت معه سنوات عمرها، كان عيبها الوحيد أنها لم تنتهز أى فرصة من فرص فراقهما بالمعروف، كانت دائماً تقول لنفسها إنه حتماً سيتغير ليحافظ عليها من أن تضيع من بين يديه، كانت تظن فيه إثماً أنه يعلم أن بين يديه كنزاً لا يُعوض، وأن فقدان هذا الكنز لن يغنيه عن جميع كنوز العالم.

فى الأولة آه:

اليوم تعترف أنها كانت غبية فى تحليلها له، تتذكر أول مرة تجرأ فيها ومد يده عليها، كان السبب غير واضح بالمرة، اكتشفت أن هذه هى طريقته فى التفاهم معها، لا تتذكر بالضبط كيف طاوعه قلبه ومد يده عليها، يومها كان معها طفل واحد منه وكانت تنتابها شكوك ناحيته فقد بات يتأخر كثيراً فى الخارج يقضى جل وقته على النت كافيه، كان كالممسوس بالجن يتحرك بصورة شيطانية شريرة، فوجئت به عندما خيرته بينها وبين جلوسه على النت كافيه وقضائه الساعات بعيداً عنها أنه أختار النت ثم مد يده عليها لأنها تجرأت ووضعته فى مأزق

الاختيار، وطلبت منه أن يختار، رآها رغبة محمومة منها فى التحكم، لم يعلم أن حدسها كان يخبرها أن هناك أخرى اقتحمت حياته، وكان حدسها سليماً كما علمت منه هو شخصياً بعد ذلك، يالها من مغفلة، فى السنة الثالثة كان يمكنها الفرار منه، كان يمكنها أن تبحث عن غيره، وتبدأ من جديد قصة منزوعة الألم وخالية من المرار، ولكنها أعطت الفرصة تلو الفرصة لهذا المخادع ليدوس على كرامتها ويسحق قدرتها على الحب ويفتت سنوات عمرها دون رحمة بأصابع يديه العشوائية.

لقد اعترف لها أنه فى السنة الثالثة من زواجهما عرضت عليه خطيبته السابقة الزواج منه، تعرف جيداً أن اعترافاته لها هى نصف حقائق وليست حقائق كاملة، فإذا قال إنها هى التى عرضت عليه الزواج فالحقيقة الغائبة هى أنه من عرض عليها الزواج وليس العكس، ويبدو أنها طلبت منه طلاق زوجته الأولى من أجل أن يعيشا معاً دون منغصات.

فما دام تعيساً دونها إذاً فليتزوجا وليغلقا صفحاتهم القديمة ويبدؤون معاً صفحات ناصعة البياض، ينتابها شعور قوى أنه حتى وهو يعترف يكذب، لا يستطيع أن يذكر كلمة دون أن يطعمها بكذبة نفيسة سوداء يتخيلها بيضاء ولكنها مسمار جديد يدقه ببراعة فى نعش الثقة التى كانت يوماً بينهما، تعرف جيداً أنه لن يتغير، فهذه موروثاته وتقاليده وأساليبه فى الخداع والتى لن

يتنـازل عنهـا مـن أجـل عينيهـا، لقـد أخطـأت خطأهـا الأول وعـادت لـه بعد وعـد منـه بأنـه سـيتغير مـن أجـل طفلهمـا الصغير، غبيـة لأنهـا تخيلـت أن طفـلاً صغـيراً أو حتـى دسـتة مـن الصغـار تسـتطيع تغيـيره إلى الأفضـل، لا تعلـم أنـه لا يحاسـب نفسـه أو يعاتبهـا فضمـيره وُلـد ميتـاً مُشـوهاً، يـرى الباطـل حقـا والحـق باطـلاً، فهنيئـاً لـه نفسـه بـلا أخـلاق.

والثانية آه:

ولأن الـداء فيـه عميـق عُمـق سـنوات عمـره، عمـق تنشـئته فـى بيـت لا يـرى فـى الخيانـة عيبـاً يُسـأل عنـه الرجـل أو يُحاسـب عليـه، فقـد تغـير مجـدداً فـى السـنة السـابعة مـن زواجهمـا، كانـت تشـعر بتغيـير جديـد فيـه، اهتمـام زائـد بخصوصيتـه وسـاعات يقضيهـا فـى سـيارته واضعـاً الهاتـف النقـال علـى أذنـه، كانـت تـراه مـن شـباك بيتهـا وهـو يجلس فى السـيارة، تقضـى وقتهـا تنتظـره لتأخـذه بـين أحضانهـا وتطبـع قبلـة علـى فمـه تخـبره مـن خلالهـا أنهـا افتقدتـه إلى جوارهـا.

خـلال لعنـة العـام السـابع مـن زواجهمـا كادا أن ينفصـلا والسـبب أخـرى، دخلـت حياتـه تحـت مُسـمى الصداقـة البريئـة التـى تطـورت لإعجـاب، يالهـا مـن سـاذجة جديـدة تقـع فريسـة لـه، لقـد ارتاحـت لـه، فقـد بـرع فـى رسـم نفسـه لهـا علـى أنـه الرجـل النقـى ذو المبـاديء الـذى يتعامـل مـع المـرأة علـى أنهـا ملكـة مُتوجـة علـى عـرش قلبـه، رسـم لهـا نفسـه فارسـاً رومانسـياً لا مثيـل لـه، رأت فيـه فـارس أحلامهـا

المُنتظر الذى تأخر كثيراً، كانا يتحادثان بالساعات، جعلته يدمن مكالماتها الصباحية، كان يتفنن فى اختراع بعض الحجج والمشاوير التى تبعده عن زوجته أكثر وأكثر لينفرد بتليفوناته مع محبوبته الجديدة، كان يدخل بيته مُتحفزاً يبحث فيه عن العيوب التى تجعله يهرب سريعاً منه، كانت زوجته المسكينة تتصيد أسباب غضبه لتجتنبها، كانت كمن يحرث فى البحر، لا تجد لمجهودها صدى يُذكر، حتى جاء اليوم الذى أمسكت فيه تليفونه المحمول لتجد رقماً يتكرر الاتصال به، قالت له لمن هذا التليفون، أخبرها دون أن يهتز له رمش، إنه رقم تليفون زميلتى، سألته : إذا كانت زميلتك كما تقول لماذا لا تحاورها أمام عينى؟ لماذا تأخذ التليفون لتهاتفها خارج البيت؟ قرر يومها أن يذهب إلى والدته فجأة لأنه لا يستطيع العمل فى البيت مع وجود طفلين فى البيت أحدهما فى المدرسة، أخذت تستعطفه وتسترضيه ليبقى معهم، ولكن الفكرة التى فى عقله كانت أقوى وأكثر تأثيراً، أخذت منه التليفون النقال، وأغلقت حجرة النوم عليها وأخذت ترن على الرقم الذى كان يتكرر كثيراً، أخذ يدق بكلتا يديه على باب الغرفة ليمنعها من الاتصال بالرقم، كان كالوحش الكاسر، ليس خوفاً من غضبها ولكن خوفاً على مشاعر صديقته، سمعت على الطرف الآخر صوت أنثى، واكتفت بما سمعته علاوة على حدسها القوى، وفتحت باب الغرفة وقالت له: طلقنى، هذا فراق بينى وبينك، لم

أعد أرغب فيك، لم أعد أحبك، أمسك منها التليفون وقرر أن يترك البيت فتركته هى قبله، وذهبت إلى بيت أبيها، وعندما قررت العودة وقف هو فى وجهها وقال لها: لن تدخلى البيت بقدميك مرة أخرى، اخذ يدفعها بعيداً عن الباب ولكنها اجتازته، دخلت بحقيبتها ووضعتها أرضاً، حاول أن يدفعها خارجاً ففشل، فركلها بقدميه ودفعها إلى آخر الصالة، سقطت أرضاً هنا استيقظ وعيه على صوت عظامها ترتطم بالأرض فزع عليها أو خاف أن تلجأ لقسم الشرطة وتصبح سيرته على كل لسان، بكت ألماً وحزناً، فهاهو من أجل محادثة تليفون يركلها بقدميه، يالها من أيام سوداء لا تود أن تتذكرها ولكنها قررت أن تضع النقاط فوق الحروف، وتتذكر له كل كبيرة وصغيرة، يكفيها تهاوناً فى حق نفسها وفى حق صغارها الأبرياء.

لا تعلم كيف عادت له بعد هذا الشرخ العميق الذى لا يُجدى معه أى ترميم، لقد كان أولى بها أن تستخدم خاصية الحذف لتحذفه خارج حياتها ولتنعم هى بالراحة النفسية ولكنها شخصية لا تملك القوى الكافية لتنهى علاقة فاسدة مُدمرة، بل أنها تمادت فى تعذيب نفسها أكثر وأكثر وقررت أن تحقق له حلمه فى أن ينجب من الأبناء عدداً أكبر، قررت أن تحمل منه للمرة الثالثة، لا تعرف كيف كان يطاوعه جسده ليعاشرها وقلبه مع غيرها، كيف كان يوهمها بالحب فتصدقه، يوهمها بالسعادة المرتقبة فتؤمن

على وهمه، كم كانت طيبة نقية السريرة وهى تصدقه، وتسلم له رقبتها وسنوات عمرها وحق تقرير مصيرها.

والثالثة وجع:

التالتة تابتة، ففى السنة الحادية عشر من زواجهما، وهى السنة التى قصمت ظهر البعير، بعد أن أنجبت له طفلا ثالثا، كادت تفقد حياتها من أجل عينيه، كاد يقتلها بإهماله ولامبالاته وبحثه عن نزوة عابرة بشتى الطرق، هى نفس السنة التى عادت فيها فتاته لتبحث عنه وتمارس معه أقسى أنواع التعذيب للمسكينة زوجته، تجاذبا أطراف الحديث من خلال الفيس بوك، ذلك الاختراع اللعين الذى نكس منازل كثيرة وشرد الصغار وحطم عواميد الاستقرار فى بيوت العديد من البشر.

كانت حبيبته الجديدة ترسل له الصورة تلو الصورة، بملابس عادية أحياناً وبفستان فرحها العارى أحيانا أخرى، وهو كان يتلقف صورها بفرحة عارمة، ذئب سعيد بفريسة تعرض نفسها عليه، وتقدم له وجبة شهية من الحب المُحرم، كان يقول لها لقد اخترقتنى صورك ذوبتنى عذبتنى فى نيران الحرمان، كان يحادثها عن نهديها وكأنه حديث العهد بالنهود، وعن شفتيها وكأنه لم يقبل شفتا امرأة من قبل، وعن جسدها وأبعاده وحجم كل جزء فيه، وكأنه رجل لم يلمس جسد امرأة من قبل، كان يتكلم عن عينيها وكأنه وقع أسيرا لهما، يتكلم عن طفليها وكأنه

خُلق محروماً من نعمة الأبناء، حتى عندما قالت له: أطفالك يتميزون بالجمال، أخبرها بأن جمالهم سيكون أكبر لو كانوا قطعة منها.

لم ينظر إلى صورته فى المرآة ليعرف أن جميع عيوب أطفاله الجسدية والشكلية حصلوا عليها بفضل جيناته اللعينة، قال لها يوماً يحاول استمالتها: أنا محروم وأنتِ محرومة، دى مش عيشة دى، قالت له: أعرف أننى محرومة فما السبب فى حرمانك أنت؟ قال لها: سبق وقلت لكِ أنها لا تحب العلاقة الجنسية، وأنها باردة كما كانت أمها، وعندما تعجبت من قوله هذا، قال لها: هى التى اعترفت لى بذلك.

كان المنطق غائباً عنه فكيف تعترف بشيء لا يخصها، كيف لها أن تعرف بأن أمها كانت باردة جنسياً، ولكن محبوبته صدقت كلامه ..أخبرها بأن وجودها فى حياته منعه من علاقة جنسية كاملة خارج إطار الحب والزواج لكى يشبع رغباته المحمومة فى الجنس، كان يتكلم عن قدراته الجنسية الخارقة وكأنه سوبر مان، ومن لا يعرف يأكل عدس وبصارة ولا مانع من الفول المدمس.

كانت تستدرجه إلى جزيرة الأحلام ليعيشا معاً قصة حب مُحرمة، ليست من حقه أو من حقها، كان يضحك عندما تخبره بأنها مشغولة بتغيير الحفاض لطفلها، لم يعى أنها أم كزوجته تماماً، تفعل ماتفعله الأمهات، كانت

تسرق حقوق زوجها لتعطيه إياها، تحادثه ليلاً ويطلب أن يسمع صوتها فجراً ليمارسا معاً الحب المحرم على الهاتف، فيترك بيته فجراً ليهاتفها ويسمع صوتها ويذوب معها فى جزيرة الأحلام الملعونة، طلب منها أن تلح فى طلب الطلاق من زوجها المخدوع ليتزوجها هو ويربى لها صغارها، لا تعلم المسكينة أن الله خلقه إنساناً ضيق الأفق لا يحتمل صغاره فما بالها بصغار الآخر المخدوع.

على الجانب الآخر كانت تعيش الزوجة، تهتم بصغارها حتى يحصلون على أعلى الدرجات فى امتحاناتهم المدرسية كما عودتهم، كانت كالثور فى الساقية تعمل ليل نهار لكى يتفوق الصغار، كان هو فى واد وهى وأطفالها فى واد آخر، حتى يوم عيد ميلاد طفلها الأكبر كانت بعد يوم عمل شاق تنتظره على العشاء، تتصل به كل عشر دقائق وهو يقود سيارته لكى لا يباغته النوم وهو على عجلة القيادة، تأخر يومها كثيراً، كانت لا تعلم سبب تأخره بعد، لم تتخيل أن أكثر كوابيسها قسوة تتحول إلى حقيقة، لم تتخيل أنه يخدعها ويخون ثقتها فيه، لم تتخيل أنه يمارس الحب مع غيرها دون أى وازع لديه من ضمير، كان يقول لها لا تخافى، فالطريق مزدحم بالسيارات، والحقيقة أنه متوقف فى الطريق ليتكلم مع فتاة أحلامه.

وكأن الله قرر أن يكشف لزوجته البائسة حقيقة بيتها الهش الموشك على الانهيار، وكأن كأس ذنوبه قد فاض

وأصبح ممتلئاً عن آخره، فأراد الله كشف هذا الخائن أمامها، كانت زوجته تشعر بما يحدث، نعم لم تكن تمتلك دليلاً غير حدس الأنثى وبعضاً من العلامات المبهمة فى تصرفات زوجها، والذى كان مريباً فى تصرفاته، ويكاد المريب يقول خذونى، بالإضافة إلى قضائه الساعات خلف شاشة الكمبيوتر فى أبعد ركن فى الشقة، لدرجة أن زوجته لاحظت ذلك فكانت تأتيه وتمازحه قائلة : أنت لو بتعمل حاجة غلط على النت لحد ما أوصل لك تكون قفلتها، كذلك كان دائماً يغلق جواله ويضع عليه كلمة سر خاصة، أو يضعه على الوضع الصامت عند دخوله البيت ويمسح جميع المكالمات الواردة والصادرة ويقوم بإلغاء جميع الرسائل التى يرسلها أو يستقبلها، حتى علاقته الحميمة معها اختلفت تماماً، لم يعد يمتعها فقد كان مهتماً بمتعة أخرى، كان يتركها محرومة ليروى عطش صديقته، كانت زوجته تشاهده يخونها فى كوابيسها، حذرته يوماً بأن ما يمارسه من علاقات مشبوهة على النت أشبه بالوشم الثابت الذى لا تمحوه الأيام، وصمة عار ستفضحه يوماً ما، كانت ملامحه تبهت ويتخيل أنها تعرف مايخفيه عنها ولكنها لم تكن تعلم إلا أن هناك شيئاً غريباً فيه، ليس هذا زوجها، بل هو جسد مجوف فارغ بلا روح ولا عاطفة، فى أيامها الأخيرة معه صارحته بأنها ليست سعيدة من علاقتهما معاً وأنه لم يعد يمتعها وأن العلاقة الحميمة أصبحت عقاباً لها لا متعة تنتظرها.

وفى أحد الأيام جلست زوجته على جهاز اللابتوب ذى الباسورد السرى الخاص به كان مفتوحاً على غير العادة فتحت صفحة إخبارية وطلبت منه أن تقرأ قليلاً فى الأخبار، تركها وهو لا يعلم بأن المستور سينكشف وسيهد الصورة الخادعة التى رسمها لنفسه أمامها، سيهد احترامها له وتقديرها لوجوده فى حياتها، وذهب هو إلى المطبخ ليصنع لنفسه كوباً من الشاى، وجدت صفحة مفتوحة عليها حوار بين أثنين، ذكراً وأنثى، هو وهى، وجدت فيه أسم زوجها وأسماء أطفالهم ففهمت أن الموضوع يخصهم جميعاً، جلست تقرأ ودموعها تتساقط زخات رغماً عنها، سيول متدفقة من الدموع هطلتها حزناً على البيت الذى تتهدم أركانه ركناً وراء ركن مع كل كلمة تقرأها، قرأت نصائحه لها لكى تجتذب زوجها إليها، آلمها إبدائه لعدم سعادته لأن أطفاله ليسوا من حبيبته، آلمها وصفها بالبرود، شعرت بطعنات تخرق جدار أنوثتها من الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يشهد على قدراتها وجاذبيتها، جمهورها الوحيد فى العالم يشكك فى أنوثتها وجمالها، رأى عيناها وقد أغرقتهما الدموع فسألها عما تقرأ قالت له ماهذا؟ أخبرها بأنها رواية أعجبته فسجل الحوار الذى فيها، قالت له يالها من رواية ذكرت أسمائنا فيها جميعاً، هنا فهم أنها وصلت إلى شط الحقيقة، فقال لها أنه سيحكى لها كل ماحدث وعليها أن تتفهم جيداً، وألا تتهور فى ردود أفعالها، جلسا معاً يومان دون نوم

يتجادلان حول ماحدث ولماذا حدث ذلك، كان يقول لها لقد تعريت أمامك وحكيت لكِ عن الماضى والحاضر وأرغب بشدة فى التطهر، كانت تستمع دون أن تنظر إلى وجهه، فقد شعرت بأنها ستتقيؤه لو نظرت إليه، نعم شعرت أنه وجبة مُلوثة تناولتها ووجب عليها أن تتقيأ تلك الوجبة حتى تنعم براحة جسدية ونفسية تامة، لم تنظر إليه وهو يدعى الندم، لم تشعر بندمه نابعاً من داخله، لم تسمع إلا إلى العديد من الكلمات التى تزيد الطين بلة، أخبرها أنه كان سيتزوجها بعد أن تحصل على الطلاق من زوجها الحالى، وعندما تعجبت من ثقته فى أنها كانت ستبقى على ذمته رغم زواجه من أخرى، قال لها: كنت سأقنعك، قالت له: أنت للأسف لا تعلم عنى شيئاً رغم أن الخيانة كانت الخطيئة الوحيدة التى حذرتك من ممارستها معى لأننى لن أغفر فيها، دخل لينام فى حجرته وجلست هى تجمع أشلاء قصة خيانته لتكتشف مما قرأته أنه مازال يكذب فهو يعرفها منذ سبع سنوات وليست معرفة شهر واحد، أخذت الكذبات تتساقط كالحمم البركانية الملتهبة لتحرقها، حتى فاض بها فشبكة الأكاذيب أصبحت واهية بشدة لا تحتاج إلا إلى دفعة من الإصبع الصغير لتنهار فوق رأس هذا الكاذب.

أخذت تلوك كذباته وحدها ليلاً، حتى اهتدت إلى قرار، نعم إنه الطلاق، إنه الحل السحرى لجميع

مشاكلها، دخلت عليه فى حجره نومه ووضعت فوق رأسه مخدة تحاول خنقه بها كما خنقها بكذباته ولعناته، قالت له : طلقنى وإلا تخلصت منك ومن نفسى بعدك.

ذهبا معاً إلى حجرة أخرى وسألها : ماذا تريدين ؟

قالت له : مش هارتاح غير لما أسمع كلمة أنتِ طالق.

قال لها : يعنى هو دا اللى يريحك ويبرد نارك.

قالت له : أيوة طلقني.

قال لها والاسى يعتصر ملامحه: أنتِ طالق ارتحتِ كدة؟

تنفست الصعداء وشعرت كأن هماً ثقيلاً انزاحٍ من فوق صدرها، ولم تشعر بنفسها إلا وهى تخرج صوتاً من فمها ظنته زغرودة تعبر من خلالها عن سعادة حقيقة.

هنا بدأ وزنها يختفى وبدأت مشاعرها تتخلص من أصفادها وأغلالها النارية فقد أصبحت عصفورة حرة تنطلق فى الفضاء الواسع لا يكبل أحلامها سجان أمتلكها بموجب عقد زواج وعبودية واستبداد.

اتجهت شيماء نحو جهاز اللاب التوب الخاص بها وكتبت على صفحتها، أخيراً حصلت على حرية عصفور خرج من أسر سجانه، أخيراً أصبحت أمتلك حرية اختيار ما أرتديه وما أتناوله من طعام، لن يتحكم فى تصرفاتى شخصاً مهما كانت درجة قرابتى منه.

تركت شيماء اللاب توب بعد أن فتحت ملفاً عليه بعض من أغانى إليسا ووقع اختيارها على أغنية، هاتلف تلف وترجع لى، لا تعلم لماذا اختارت تلك الأغنية تحديداً؟! هل افتقدت سجانها ولكنها اليوم ستكتفى بالرقص كفراشة جميلة فى عُرس أقامته الدنيا للاحتفاء بالحرية.

obeikandl.com

وتغيب عنها الحياة

تركت صفحة شيماء بصدمتى فى بيتها الهش المتآكل الذى كانت تحيا فيه أسيرة لقرارت لم تستطع أن تتخذها وتوجهت إلى صفحة صديقتى فريدة، لأشاهد صورها الجديدة التى تمت التقاطها لها فى مناسبات سعيدة لصديقات، تتفنن فى اختيار ملابس غالية الثمن تعبر عن أنثى وحيدة تضع جل همها وملها فى فستان ترتديه ليلة ثم تتخلص منه لتشترى غيره فى فرح جديد، ومن بين الصور كانت فريدة تضع صوراً لطفلين يبدوا أنها تقضى معهما الكثير من الوقت لتعدد المواقف التى جمعت بينهم فى تلك الصور، أبناء أخيها، وكانت هناك صورة أخرى لأخيها فى فرحه وهى تقف بجواره، ثم صورة أخرى بالأبيض والأسود لعريس وعروسة يشبهانها فى بعض ملامحها، كتبت فوق صورتهم بابا وماما رحمهم الله.، وحشتونى أوي، متى يحين موعد اللقاء؟

نعم قلبها مغارة تقع فى أطراف العالم لا يزورها زائر ولا يمر عليها عابر لم يسمع عنها بشر، مغارة تتنفس الصمت والوحدة والحذر، تصطبغ ألوانها بالأسود القاتم كلما حاول مغامر اقتحامها، لتختفى ببراعة عن الأنظار فهى ليست عالماً جديداً يحتاج إلى من يكتشفه ويضع بصماته وبقاياه عليه.

تفضل أن يبقى قلبها كنزاً دفيناً لا تراه العيون على أن يكون موطئ ومداس للجميع.

لم تحب يوماً ولم تترك نفسها ريشة فى مهب الحب، فالحب بالنسبة لها عالم قاسى يدخله العشاق يسبقهم إليه الأمل، ويغادرونه وقد تحولت قلوبهم إلى قطع صغيرة من الحطام.

فريدة اقتنعت بهذا المنطق وعاشت عليه وحفظت بنوده ورضيت بكونها بلا مشاعر أمام الجميع، قطعة من حجر البازلت الأجوف.

كانت تستمع إلى حكايات زميلاتها فى الكلية وتسخر من مغامراتهن وتنبه عليهن بأن طريق الحب نهايته غير محمودة العواقب، حتى تخرجت وعلى قلبها نفس الغلاف الذى غلفته به، والذى لم تمتد إليه الأيادى العابثة لتنتزعه، غلافها كما هو سليم بكر.

وفى يوم مشرق جميل رأته كان تجسيداً لكل حلم حلمت به يوماً، كان فارسها فى أجمل أحلامها .

تعرفت عليه فى سهرة عائلية فى بيت صديقتها، كان عيد زواج صديقتها من زوجها الذى تزوجته بعد قصة حب غير معهودة، ارتدت فريدة فستانا أبيض اللون بسيطا ينم عن فتاة راقية شديدة الأناقة والجمال، كانت تجلس فى الحفل وحدها حتى اقترب منها علاء، وهذا أسمه، شاباً فى منتصف العقد الثالث، أنفه رومانى وملامحه تكتسيها رجولة تشبه رجولة أبطال السينما، خمرى اللون، تسبقه ثقة وحضور لا تعلم من أين حصل عليهم، كانت كمن ترى حلماً يتحقق أمامها، أخذ كرسيه واقترب من كرسيها، كالدنيا التى تسعى جاهدة لتحتضن دنياها الخاملة فتبعث إليها روحاً وريحاناً.

قال لها بابتسامة ساحرة على وجهه :لماذا تجلسين وحدك؟ لماذا لا تختلطين بالضيوف؟

قالت له بخجل ووجه كالجمر : أنا زميلة لميا فى العمل ولا أعرف غيرها هنا؟

علاء : وأنا زميل احمد فى العمل أيضاً، ولا أعرف غيره هنا وهو مشغول بطبيعة الحال عنى بضيوفه وأقاربه، على كل حال أهلا بكِ، هل يمكننى إكمال السهرة معك فقد أصبح الحفل مملاً بدون صحبة .

ولأن الأرواح عندما تتجاذب تتلاشى المسافات بين البشر، تجاذبا الاثنان أطراف الحديث وتخلت فريدة عن حذرها رويداً رويداً حتى انتهى الحفل، وقد تبادلا أرقام هاتفيهما ليكملا ما بدأوه من حديث يبدوا أنه لا ينتهي.

ورغم أنها لأول مرة تراه إلا أن علاء شغل حيزاً كبيراً من فراغ قلبها وعقلها، وعندما وصلت إلى بيتها فوجئت برنات متتابعة على جوالها، إنه هو علاء بصوته الحنون يطمئن على وصولها بالسلامة، أغلقت الهاتف وسرحت فى ملكوت علاء، الذى كان أول طارق فعلى يتجرأ ليقتحم أسوار قلعتها الحصينة، ويدق بكلتا يديه على أبواب قلبها الموصدة.

من أنت أيها الغريب؟ من أنت حتى تحتل قلبى كله والعديد من حجرات عقلى الغالية .

هل أنت طيف عدو أم طيف حبيب؟

هل التورط فيك سيورثنى السعادة أم الجراح؟

أخاف أن أبدأ خطواتى معك حتى لا أعود وفى قلبى خنجر مسموم يقتل بداخلى الحياة.

إن كنت حبيباً اقترب وإن كنت لا تحفظ العهود فلا تطرق باب قلبى الموصود.

ورغم القيود التى فرضتها حول قلبها إلا أن الاحتلال الذى شنه ضدها هذا الغريب القريب، كان قوياً لا يقبل الهزيمة

أو التراجع، واستسلمت له بعد أن سُلبت منها إرادتها، ووضعت كامل طاقات حبها المُعطلة سُخرة فى يد حبيبها.

تعددت اللقاءات بحجج أولاً ثم بدون حاجة إلى حجج ثانيا، أصبح لقاء علاء بفريدة كسطوع الشمس يتساءل عنه البشر كلما غاب اللقاء، ويستشعر كلاهما البرودة والغربة دون وجود الآخر.

تورطت فيه حتى أصبح الابتعاد عنه كالحياة بلا هواء ولا ماء، حياة مختنقة تلفظ أنفاسها وتصبح طريحة للفراش تنتظر الموت.

كانت النتيجة الطبيعية لهذا الاختناق هى حاجتها إلى أن تستنشقه، كانت تتنفسه مع كل هبة نسيم عليل، ترى فى عينيه طريقاً مزهراً وحياة كاملة بأدق تفاصيلها الصغيرة.

لقد آنس علاء وحدتها وهى التى تعيش وحيدة بالفعل فى شقة صغيرة تقع فوق شقة أخيها الأكبر المشغول دائماً بحياته وصغاره، كانت تزور أخيها أحياناً، وخصوصاً بعد وفاة أبيها وأمها فى حادث سيارة أليم، فوحدتها تفرض عليها أن تحتمل المقابلات الفاترة من زوجة أخيها، والتى تجد فى زياراتها المتكررة لهم تطفلاً لا مبرر له، لا تعلم أن وحدتها هى التى تجعلها تقتحم حياتهم، تدفن شعورها باليتم داخل أسرة أخيها وبين صغاره، وبالطبع كانت زوجة أخيها تسعى جاهدة إلى التخلص منها عن

طريق إلقائها في أى مشروع زواج لتنشغل بحياتها عنهم، ولكن الفشل دائماً كان حليفها، ففريدة لم تكن تبحث عن زوج بل كانت تبحث عن زوج حبيب.

علاء هذا الكائن الخرافى الغامض الذى ظهر فجأة فى مجرتها الفارغة من الكواكب دون سابق إنذار، والذى فتحت له جميع متاريسها وهدت من أجل عينيه جميع قلاعها الحصينة، وتركت نفسها كالطفلة يلهو بها كيفما أراد، سرقها الحب من عقلها وشغلها العشق عن معرفة من هو علاء، كانت تكتفى بما يخبرها به عن نفسه، مهندس شاب يعيش وحده فى المدينة تاركاً أهله فى الريف يراسلهم دائماً ويزورهم فى الشهر مرة واحدة فقط ليطمئن عليهم وعلى صحتهم.

تمر الشهور والحب يزداد ويتعمق وعلاء لا يعطيها غير العديد من الكلمات التى تحولها من فتاة ناضجة حريصة على مشاعرها إلى فتاة صغيرة هائمة فى دنيا غير الدنيا، كانت كلماته ذات تأثير مخدر قوى المفعول على فريدة، حتى عرفت من هو علاء وماهى حكايته.

كانت فريدة تجلس مع زميلتها لميا التى كانت السبب فى معرفتهما، ورن هاتف فريدة لتعرف لميا أن علاء زميل زوجها أحمد هو من يحاورها على الطرف الآخر، هنا سألت لميا صديقتها فريدة عن طبيعة العلاقة بينها وبين علاء، فأخبرتها فريدة أن هناك إعجابا متبادلاً بينهما،

فبهتت لميا وقررت أن تكشف جميع أوراق علاء المبهمة أمام فريدة، وأخذت تحكى لفريدة عن قصة علاء زميل زوجها فى العمل وأقرب أصدقائه له.

علاء موظف بسيط متزوج ويعول طفلين وزوجته حامل منه فى الطفل الثالث، وبحكم المعرفة التاريخية بين علاء وأحمد زوج لميا، فإنهم على علاقة أسرية وثيقة، لميا تعرف هدى زوجة علاء وبينهما اتصالات تليفونية وهى دائمة الشكوى من علاء الذى لا ينتهى من علاقة إلا ويبدأ علاقة أخرى، وهى تعلم جيداً عن علاقاته المتعددة وتفضل أن تتكتم عليه لكى ترسو سفينة الحياة على شط الأمان، ويستقر قلبه فى ميناء زوجته أخيراً.

كانت لميا تحكى ودموع فريدة تلاحقها وتركض خلف حروفها لتلتهمها، حبها الأول ينهار، أحلامها تتحطم وأعصابها ترتعش منها، وجسدها أصبح بلون الليمون الأصفر، بلا حياة، لقد فارقتها فجأة الحياة الجميلة التى كانت تحلم بها، علاء سقط سقوطاً مدوياً أمامها، يا ليته مات ولم تعرف عنه هذه الحقائق المفزعة.

فريدة الحريصة دائمًا أصبحت فريسة لمخادع، إنه علاء هذا الذئب الذى كانت تخشى الاقتراب من أمثاله دوماً، وترفض الزواج حتى لا تقع فريسة لأشباهه.

ماذا تفعل وقلبها المُغتصب يصرخ بين أضلعها : لا تتركيه فأنا أحمل داخلى شلال حب خُلق من أجله فقط.

الابتعاد عن علاء سيكون إهداراً صارخاً لمخزون من الحب لن نستطيع تعويضه.

دخلت فى صراع بين قلبها وعقلها، أغلقت هاتفها وأخذت أجازة مرضية وسافرت إلى بيت المصيف الخاص بأخيها فى العجمى، وجلست تتابع الصراع بين قلبها المارق وعقلها الرزين عن كثب، تنتظر نتيجة المباراة بصبر فارغ، هل سينجح القلب فى إقناع العقل بالعدول عن فكرة أن علاء مخادع، ستنتظر بلا حول منها، ستكتفى بالمشاهدة فجسدها أنهكه التفكير والحب معاً، أصبح جسداً على حافة الانهيار والفناء.

قال القلب وهو يكاد يتمزق حباً وخوفاً: العيب فى التوقيت لقد دخلت فى وقت متأخر إلى حياته.

فرد العقل بعصبية : ولكنه كاذب، لقد أخبرها أنه غير متزوج.

القلب : هى لم تسأله من قبل عن حالته الاجتماعية لنلوم عليه.

العقل : ولكن من البديهى أن يخبرها أنه متزوج، هذا أمر مفروغ منه وغير قابل للنقاش من الأساس.

القلب: ولكنه بشر وفى البشر يظل القلب ينبض بصرف النظر عن الحالة الاجتماعية لصاحبه.

العقل فى نفاذ صبر: دعك منا أيها القلب الساذج، فأنت لست فى كامل قدرتك على الحكم الصحيح ويجب أن نمتنع عن الأخذ برأيك، فأنت السبب فيما وصلت له فريدة، لولا تهورك لما تحطمت أحلام المسكينة .

القلب : ولكنني أعشقه وسأكف عن ضخ الدم إليك حتى ترضخ، سأشل قدراتك وسأقضى على خلاياك، وسترضخ فى النهاية لرغبتي.

العقل : لن أرضخ فأنا من يحرك هذا الجسد، فريدة تستطيع أن تعيش وفى جنبها قلب معطوب ولكنها لن تستطيع أن تحيا وفى عقلها خلايا مُحطمة.

دخل القلب والعقل فى مباراة لشد الحبل، العقل يشد من جهة والقلب يشد فى الجهة الأخرى، تارة يتقدم القلب فى المباراة، وتارة أخرى يتقدم فيها العقل، ولكن المؤكد أن العقل لم يستطع أن يأمر القلب بإعلان حالة الكراهية، فإعلان حالة الكراهية أحد السُلطات التاريخية للقلب التى لا يستطيع أن ينازعه فيها عضو آخر مهما بلغت جبروته وقواه وهيمنته

انتهت المباراة بالتهديد والوعيد بين القلب والعقل كلاهما لا يريد أن يتنازل، القلب يرغب فى الغفران لعلاء

والعقل يرفض الفكرة ويرفض أن تكمل فريدة خطواتها فى طريق نهايته محتومة وهو الندم.

أخذت فريدة تناجيه بدموعها وتستجدى طيفه لترسل إليه رسالتها من خلف وهنها وضعفها : علاء، لماذا وضعتنى فى هذا المأزق لماذا اخترتنى أنا، لماذا يتحتم على جسدى أن يختار أن يعيش بلا قلب أو بلا عقل.

خياران كلاهما أمر من العلقم على نفسي.

هتفت أمام عقلها صارخة سأظل أحبه حتى لو حال بيننا ألف سور وسور، سأحبه لأنه أنفاسى التى تخرج وأنفاسى التى تعود، أحبه لأننى أعجز عن الحياة بنبض لا يهتف باسمه.

جلست فريدة تستجدى طرفاً ثالثاً ترتاح له لعل الحسم يكون بيده، جلست على شاطيء البحر، تشكو همها لأمواجه، فتأتى الموجة فتتمتم بلغات غير مفهومة، تخبرها عن قصص عشاق قبلها غرقوا فى بحور الهوى وألقت بهم الأمواج داخل دوامات الأحزان حتى انتهوا وأصبحوا ذكرى فى عالم الهوى، كانت فى وضع لا يسمح لها بترجمة ما يقوله البحر لها، تستسلم فريدة لحالة من التوهة تخرسها وتكتفها .

جلست تبكى ليفور البحر بفضل غزارة دموعها، ألقت بحزنها فى البحر ونامت نوم عميق نوماً توده بلا استيقاظ

بعده، اختارت أن تفارق الوعى على أن تفارق قلبها أو تستسلم لعقلها، نامت بعمق حتى لا يستمر الصراع بين قلب لا يرضخ وعقل لا يتفاهم.

وغابت فريدة عن صفحات الفيس لمدة طويلة تتجاوز الشهر، صامت فريدة عن الكتابة تماما، وكأنها ترفض أن تتشارك معنا فى أفكارها، حتى لا يتأثر قرارها بنا كأصدقاء لها، وكأنها قررت أمراً خاطئاً ملبداً بالغيوم تعلم أن الجميع سينتقدها لاتخاذه.

وبعد عدة شهور، تذكرتها فجأة دون سابق موعداً، دخلت أبحث عنها لأعلم نتيجة الحرب العالمية الدائرة بين قلبها وعقلها وبعد مرور الشهور وجدتها قد غيرت حالتها الاجتماعية من عزباء إلى متزوجة، على مايبدو أن القلب أنتصر فى نهاية المطاف وأصبحت فريدة زوجة لعلاء سراً أم جهراً لا يهم، المهم أن الصراع تم حسمه لهذا الجبار المتعالى، لصاحب صوت النبض الأعلى.

شرف علم الدين الغامض

وفى مواقع التواصل الاجتماعى كما الحياة قد نقع فرائس لأفراد أوقعنا حظنا العاثر بين براثنهم، أذكياء يستخدمون عقولهم استخدامات قد يعاقب عليها القانون.

فى جولة من جولاتى التفقدية اليومية الاستتكشافية وصلت إلى صفحة صديقة قديمة تعرفت عليها وجهاً لوجه فى أحد التجمعات التى تجمع بين أصدقاء الفيس بوك، شخصية تفتقر إلى الكثير من الجرأة، والخبرة، وجدت صفحتها وقد تحولت إلى واحة للشعر والرومانسية، بعد أن كانت عرضاً دائماً للأحزان والشكوى، والصور الحزينة.

إنها مها ذات الخمسة وعشرين ربيعاً، جميلة رقيقة، ولولا أنها عنيدة قليلاً لأخذت لقب أفروديت آلهة الجمال عند مرتادى الفيس بوك.

تعرفت مها عليه إنه شرف الخجول " كما يحب أن يرسم شخصيته على صفحات الفيس"، يدعى التدين الزائف لكى يرسم حول نفسه هالة القديسين والشيوخ المنزهين عن

الخطأ، ولكنه على أرض الواقع شخصية مختلفة تماماً، جريء الحوار، ذئباً يدعى الفضيلة حتى تسقط فريسته ضحية لثقتها فيه، متعالى الطباع وكأنه طاووس يعيش فى عالمه الخاص، اهتماماته تنصب على متابعة فاتنات الفيس بوك، ثم يقوم بجمع صورهن ويضعها فى ملف خاص ليلجأ له كلما حاول استمالة إحداهن، أخذ يجمع فى الصور حتى تكون لديه ملفاً ضخماً من الصور المختلفة.

وقعت مها فى حب شرف، كالعصفورة التى نزلت لتشرب من فم أسد فسقطت داخل فمه ليبتلعها دون حتى أن يشعر أو يشبع.

وفى يوم من الأيام اختفى شرف من على صفحات الفيس بوك، قلقت مها عليه وأخذت تتصل على رقم تليفونه مراراً وتكراراً حتى أتاها الرد من آخر غير شرف، قال لها الطرف الآخر إن التليفون الذى معه يمتلكه أحد السجناء لأن صاحبه مسجون بسبب وصل أمانه، طلبت منه مها معرفة قيمة وصل الأمانة لتدفع قيمته ويخرج صديقها وحبيبها شرف من حبسه، أخبرها الطرف الآخر أن المبلغ المطلوب سداده هو عشرة آلاف من الجنيهات، دفعتهم مها بدافع من المحبة التى تجمعها بشرف، ولم تهتم بشيء إلا أن تُخرج شرف من سجنه.

وبالفعل خرج شرف من سجنه ولم يشير ولو من بعيد على أنه كان محبوساً، كتب فقط أنه عاد تواً من سويسرا

حيث الجو الجميل والنساء الجميلات الفاتنات والمعاملة الآدمية التى نفتقر لها فى بلدنا، كان يبالغ فى وصف ماراه فى سويسرا بدقة من يعمل فى إصلاح الساعات اليدوية، حتى يخيل للقارئ أن شرف قد زار سويسرا فعلا.

ثم بدأت مرحلة ندم مها على مهل، فهاهى الشهور تمر وشرف لم يحاول أن يعرض عليها الزواج، وتباعد عنها كثيراً بعد أن حصل منها على النقود، ولم يعرض رد المبلغ الذى دفعته لإخراجه من سجنه، فتوجهت له مها على استحياء فى البداية وبدأت فى مطالبته بما عليه من نقود حتى ولو بالتقسيط، وهنا قابل شرف رغبتها فى استرداد ماعليه من نقود باختفاء مباغت فعمل لها بلوك على الفيس بوك وغير أرقام تليفونه حتى لا تستطيع مها الوصول إليه، ثم عندما وصلت إلى عنوان سكنه قام بتغيير محل سكنه فى منطقة سكنية أبعد، اختفى شرف وكأنه فص ملح وذاب، ومعه بعض من صور المسكينة ليبدأ فى نشر أكاذيبه حول أخلاقها، واتهامها بأنها كانت تحاول استدراجه للوقوع فى الخطيئة، وعندما رفض التعمق معها أخذت تقول إنه حصل منها على نقود ولم يردها.

استأنف شرف نشاطه السابق فى سرقة الصور عن طريق الخديعة أحياناً أو المحايلة، أو السرقة فى أحيان أخرى، كان مريضاً نفسياً يستدعى علاجاً فورياً من أوهامه التى ينسجها حول نفسه، ينتقى ضحاياه بعناية فائقة،

سيدات أو فتيات يتميزن ببراءة مفرطة ويثقون بسرعة فى الآخرين، ثم يدعى بعد ذلك أن تلك السيدات يرغبن فى التودد إليه، أصبح لدى شرف علم الدين ملفاً عملاقاً متخماً بالصور، كان يعيش حلماً لا يستطيع تحقيقه، حلمه فى أن يصبح الدون جوان الذى تركض خلفه الفاتنات، وتلاحقه متابعات السيدات، كان ذكياً ذكاء نصاب محترف، يكسب ثقة أصدقائه بحكم عمله كمهندس مدنى محترم، ثم يدعى انه تعرض لعملية نصب وأنه سيُسجن إذا لم يدفع ما عليه، فيجمع بعض النقود ثم يختفى فجأة بعمل بلوك لصديقته التى حصل منها على نقود، ويبدأ فى البحث عن ضحية جديدة مستخدماً صور ضحيته القديمة "الواقعة فى دباديبه من وجهة نظره" فى الإيقاع بالجديدة.

حكاية مها وشرف من الحكايات التى جعلتنى أستعيد حذرى السابق الذى بدأت به علاقتى بموقع التواصل الاجتماعى، فشكلك على هذا الموقع أنت من يحدده بنفسك، وقد تغير أسمك نفسه وشكل صورك ولن يستطيع أياً كان أن يعترض.

بعد متابعتى لشرف ومها كدت أبتعد نهائياً عن الفيس بوك، لولا أننى كنت قد ارتبطت بقصص أخرى سرقتنى من مخاوفى، اكتفيت أن أبتعد نهائياً عن شرف وغموضه المؤذى، وعدت إلى عهدى السابق لأتابع أصدقائى كما كنت أتابعهم دوماً.

شفاء

عندما أدخل على صفحتها تنتابنى راحة غير معلومة المصدر، أرتاح للتعامل معها، تجمعنى بها صداقة لا تتعدى كونها صديقة نت، إنها سهام وهى سيدة متوسطة الجمال تخطو نحو الثلاثين، تدل صورها التى تنشرها على صفحتها على الفيس بوك على أنها ابنة بارة بأمها تحبها إلى حد العشق .

أتابع صفحتها يومياً لأطمئن على أمها التى تُعالج من السرطان فى أحد المستشفيات العامة، كانت تكتب تطورات حالة أمها يوماً بيوم، وتحكى معاناتها اليومية مع المرض، كتبت يوماً على صفحتها :

لا تأتى، ماما دخلت العناية المُركزة ولن تحتاج إلى مرافق لها هناك.

هكذا باغتتنى أختى الصغيرة بكلماتها لأترك حقيبتى التى أضع داخلها جلباباً لى وصابونة ومنشفة خاصة بى وبعض المُطهرات والصابون حتى أصبح جاهزة لكى أجالس

obeikandi.com

أمى فى المستشفى التى تُعالج داخلها من مرضها الخبيث، المرض الذى استوردته بلادى داخل غذاء مُسرطن وحياة غير آدمية ومياه غير نقية وحساب ينتظر يوم الحساب وضمير غائب عن الوعى، فى بلد أصبح فيه القتل غير الرحيم زائراً متطفلاً غير مُرحب به فى جميع البيوت .

انطلقت كالتى ندهتها نداهة لكى أرى وجه أمى وأطمئن عليها بعد أن فقدت الوعي.

استيقظت أمى من غفوتها وفتحت عيناها لحظة دخولى حجرة العناية المُركزة، تلك الحجرة التى تصطف داخلها عدد من السرائر المتجاورة، والتى ينام عليها عدد من المرضى، والأموات المنتظرون الذين ينتظرون دورهم فى إعلان ساعة الوفاة، كانت رائحة الموت تزكم الأنوف، رائحة لا يشعر بها إلا من له عزيز على وشك الفراق، وقفت أمام سرير أمى الذى يفصله عن السرير المجاور له ستارة لا تحجب شيئاً، ولا تستطيع أن تمنع عنا أسرة أخرى تبكى فراق أحد أفرادها، كنت أبكى مع بكائهم، فقد كانت أول مرة أتقابل فيه مع ميت وجهاً لوجه، فقد كانت أمى ترفض اصطحابى معها إلى أى جنازة بحجة أننى مازلت صغيرة على الحزن، وأن مشهد الموت لا يليق بحداثة سني.

أشعرتنى أمى أننى مُميزة لديها، فحتى وهى فاقدة لوعيها تريد أن ترانى كما أريد أن أراها، تحدثت من وراء غفوتها لتتعرف على وجهى بصعوبة شديدة، بكيت

على يديها لأنها ستحرمنى من يومى معها، ألم تستطع أن تنتظر يوماً جديداً لأجالسها فيه وأقبل فيه قدميها اللتين تستقر تحتهما الجنة، أخذت نفسى وحزنى ودموعى وتوجهت إلى الطبيبة المختصة فى العناية المركزة وسألتها عن حالة أمى، وهل أتبنى الأمل أم أن التشبث بالأمل أصبح درباً من دروب الجنون، فتغيرت ملامح الطبيبة، وكأنها تنفى عن نفسها تهمة توزيع الأمل الكاذب على المرضى وأهاليهم : لا ليس هناك أمل، الكانسر وصل للمخ والشفاء منه أصبح مستحيلا، المسألة مسألة وقت قصير.

زادتنى كلمات الطبيبة بؤساً وانهرت فى بكاءً لا ينقطع، لاحظته أمى طريحة فراش يجلس على أطرافه ملاك الموت، ينتظر وداعها الأخير لنا ليسترد وديعته، أشارت بيديها على عينيها تطالبنى بألا أبكى عليها، ففى الموت راحة لها لن يشعر بها إلا من يعانى مثلها، لم أتوقف عن البكاء كيف تطلب منى تلك الحبيبة أن أتوقف عن البكاء ألا تعلم أنها قطعة من روحى، تلك التى لم تكن أمى فقط، بل أقرب صديقاتى وأختى ومستودع أسرارى كاملة.

عند تمام الساعة الخامسة من اليوم التالى تركت صغارى فى البيت وحدهما، ووجدت نفسى استقل سيارة أجرة رغم كراهيتى الشديدة لركوب سيارات الأجرة وحدى، ورغم أننى فى مواقف مُشابهة كنت آثر الجلوس بين جدران بيتى لا أبحث إلا عن سكينة مُفتقدة وأمان زائف فى بلد أصابها

سُعار فباتت تتغذى على لحم أبنائها وترتوى بدمائهم.

وجدت تاكسى مُتهالكا فشاورت له وألقيت بنفسى داخله متوجهة بلا إرادة منى لزيارة المستشفى من جديد لتقابلنى أختى على باب حجرة العناية المُركزة قائلة:

ماما خلاص هتخرج من حجرة العناية المُركزة ماما شفاها الله من مرضها.

قالت جملتها الأخيرة وعادت لاستكمال قراءة ماتيسر لها من سور القرآن الكريم أمام سرير عليه جسد أعرفه جيداً لا يتحرك ولا يشكوا ولا يتألم ولا يتنفس، وفى الجانب الآخر تجلس أختى الأخرى تبكى فراق أمى بحرقة، أختى التى تحركت وحدها دون انتظار موعد الزيارة المحدد بساعة واحدة فقط فى العناية المركزة، وكأن أمى طلبتها لتودعها، كانت تصرخ وتقول: أنا كنت برة وهى بتطلع الروح مارضيوش يدخلونى أودعها، كانت بتنادينى عاوزة تشوفنى وهما منعونى أشوفها.

نعم ماما شفيت فلا مرض بعد الموت، وهاأنا أنضج بين ليلة وضحاها وأقف على غُسل لأول مرة فى حياتى وأحضر جنازة لأول مرة فى حياتى، جنازة أعظم وأطهر من سكن الأرض، جنازة أمي.

obeikandl.com

فاتيما والحب المكروه

فاتيما فتاة جريئة متحررة، فى العقد الثالث من عمرها، لا تعترف بالفوارق التى خلقها البشر، تنشر صورها الخاصة وقد ارتدت ملابس غريبة، تهوى تغيير قصات شعرها، مرة تجده قصيراً كقصات شعر الصبية ومرة أخرى تجده مصبوغاً بلون الرمان الزاهى، ومرة أخرى أخذت من الأصفر ضياً له، ألوانها جريئة مثلها .

كانت كالفرس الثائر دائماً، الذى يبحث عن أرض لم يطأها فرس قبله، تهوى الرقص تحت زخات المطر، ولا تخجل من نشر صورها بعد الرقص تحت المطر وقد التصقت ملابسها على جسدها فحددت تفاصيله بدقة، وكانت بشرتها الخمرية المتمردة أكثر مايميزها، جذبتنى إلى صفحتها عندما وجدتها تعلن عن حبها لأول مرة وتطلب من الجميع الدعم، وجدت كل من يسكن صفحتى يترك تعليقاً عندها، منهم من يدعم حبها والأغلبية الساحقة تحاول أن تمنعها بكافة الطرق عن استكمال مأساة توشك أن تهد الكون من حولها.

لم تلتفت لهم وأخذت تتحدث عن حبيبها بكل وضوح ودون مواربة.

كتبت يوماً إن الحب أقوى من الأديان كافة، الحب قادر أن يهد الفوارق الطبقية والدينية والاجتماعية، الحب دين ورسوله كيوبيد المتمرد.

وهنا انهالت عليها وابل من اللعنات والتكفير، لقد اكتشفت بعد أن تلصصت كثيراً على صفحتها أن حبيبها يدعى جورج هو مسيحى وهى مسلمة،

هى من طبقة شديدة الثراء، وهو ينتمى لحارة من حوارى شبرا، فوارق كثيرة هدها الحب بينهما.

حاربت الجميع بالكلمات أحيانا وباللعنات أحيانا وبصمت رهيب أحيان أخري.

حتى أصابها التعب فقررت أن تنتهج نهجاً جديداً لن يضيرها فى شيء، ستدع القلب يوجه ضفة حبهما كيفما يرى وستستسلم له.

لم أغفل صفحة حبيبها أيضاً، فمشكلتهما مشكلة موجودة فى المجتمع ولولا أن الفيس جعل من كل مرتاديه كتبا مفتوحة مستعدة للقراءة لما عرف عنهم أحد شيء ولتزوجا

وأنجبا وظهرت لهما معاناتهما بعد ذلك فى رفض المجتمع لهما.

مرت البوستات يوماً بعد يوم واختفت بوستات الحب من فوق صفحتيهما، اختفى الحب فجأة كما بدأ بينهم فجأة، زوبعة فى قلب وذهبت إلى حال سبيلها.

أين ذهب الحب الذى كان؟ لا أدرى!

ولكن صور فاتيما كانت تحمل بين تفاصيلها التفسير المنطقى الوحيد، لقد عادت فاتيما إلى حضن عائلتها، اختارت فاتيما ألا تضحى بأمها وأبيها وأختها الوحيدة، قررت أن الرجال صنف واحد لا يتغير وعليها أن تحدد أولوياتها، وقفت أمام نفسها وتساءلت هل سيبقى الحب؟ هل سيعوضها رجل واحد عن أسرة كاملة لم ترى منهم إلا سنوات من التفاهم والاحترام والمودة ؟ كانت تأتيها تعليقات تحكى عن فتيات وقعن مثلها فى بئر الحب الممنوع بحكم اختلاف الأديان، فكانت النهايات مأساوية.

درست فاتيما جيداً السابقات قبل أن تلحق بهن دون وعي، رمى القدر فى طريقها ماجدة وهى السيدة التى تركت المسيحية وتزوجت من مسلم فطردها أهلها من بينهم وأصبحت تقابل أمها سراً وترتمى فى صدرها تبكى وتنوح على اختيارها زوجاً قاسياً باعت من أجل عينيه الأهل والسند والأحضان الدافئة.

كان زوج ماجدة ناقوساً دق أجراس الخطر أمام فاتيما، مالذى يجعلها تضمن المستقبل وهو مازال ملفوفاً فى ورق

سولوفان لا يشف عما بداخله.

لماذا تضحى بالمضمون من أجل ماليس مضموناً؟ قررت فاتيما أن تغلق قلبها وأن تنتظر طارقا آخر ولو تأخر لن يهمها، يكفيها أن تعيش تمردها المحمود المقبول.

obeikandl.com

هموم حاملى النعش

هانحن هنا نصنع تاريخاً آخر موازٍ لتاريخنا البشرى المعتاد، مع شخصيات لم نتلاقى معهم من قبل بصورة طبيعية اعتدنا عليها منذ كنا نسكن ضفاف النيل ونعمل بمهنة الزراعة، نحن نصنع التاريخ فى هذا العالم مع أفراد لم نتلامس معهم ونسمع أصواتهم ونبكى مع أحزانهم، ونتبادل معهم الضحكات النابعة من القلب، ولم نرتشف معهم بعضاً من مشروباتهم المفضلة، ولا تناولنا معهم إلا القليل من المعلومات التى بالكاد تسمن وتغنى من جوع.

كنت لا أرغب كثيراً فى التوغل داخل حياة جميع من يدخل صفحتى على الفيس بوك، وأرفض بشدة أن أتبادل المعلومات الشخصية مع الجميع، فأنا لا أرغب فى أن تصبح أسرارى مشاعاً للجميع، كنت أنتقى من بين أصدقائى من أودعه ثقتى، وأتجاهل الآخرين، فكنت أعتبر مرورهم مرور كرام عابرين غير مقيمين، إلا هى، لقد جذبتنى من أول تعليق كتبته، شعرت أنها سيدة روحانية تشاركنا عالم ليس عالمها، عالم هى دخيلة عليه، زائرة مؤقتة تحمل

تصريحاً للمرور داخل قلوب الجميع، عندما كانت تترك تعليقاً على صفحتى كان قلبى يقفز من بين ضلوعه فرحاً، لا أدرى لماذا أصابتنى قشعريرة وخوف غريزى عليها، فقد أخبرتنى حاستى السادسة، بأن هذه المرأة ملائكية الطباع ستغادرنا قريباً فى أول فرصة تتاح لها، نعم أصدق حدسى الذى صاحبنى وكان محلاً لثقتى فى مواقف عديدة.

هدى امرأة خمسينية، أنشئت صفحتها لتقوم بتوزيع قسط من الحب على الجميع، هدى أثبتت أن الفيس ليس بيئة إلكترونية خاوية من المشاعر الإنسانية، بل هو مجتمع قائم بذاته تسرى عليه ما يسرى على الكون من حولنا، فيه شخصيات مثالية وأخرى معطوبة مريضة، كانت هدى تشارك فى الحملات الشهرية للتبرع بالدماء، التى تتبناها بنفسها، كما كانت تشارك فى حملات التبرعات التى يقيمها الأصدقاء، عرف عنها الجميع حبها للخير، والتقيت بها كثيراً فى حملات كنت أحرص على التواجد فيها.

اختفت هدى فجأة من التواجد بيننا على الفيس، غابت تعليقاتها المرحة وموضوعاتها الشيقة واهتماماتها الخيرية.

أين اختفت هدى؟

نحن لا نعلم .

obeikandl.com

قد يكون مللاً عابراً قد أصابها، فلنعطها وقتها حتى تفتقدنا فى حياتها وتعود.

بعد شهرين غياب ظهرت هدى مرة أخرى، ولكن بصورة مختلفة، وضعتها لها ابنتها غادة.

فاجأتنا غادة بصورة أمها هدى وهى تعلق أنبوبة محاليل مثبتة فى يديها وسرير مرض فى أحد المستشفيات الخاصة بعلاج السرطان، وملامحها الطيبة التى تنسحب من فوقها الحياة تدريجياً، آلمتنا صورتها بشدة، لقد صدقت مخاوفى، فهذا العالم لا يُعمر عليه الطيبون، يزورونه فقط كشهب خارقة للصوت، سريعى المرور.

قررت أن أزورها قبل أن تفارقنا، فحالتها كما علمت كانت خطيرة والفراق أمر مفروغ منه.

أعرف عشقها للأزهار خاصة أزهار التوليب الخجولة، المنغلقة على نفسها وكأنها تخفى أسراراً لا يعلم عنها بشر شيئاً، انتقيت لها صحبة من أزهار التوليب الوردية اللون،

تنام على سريرها وقد أنهكها المرض، ودخلت عليها غرفتها وهى تتألم، شعرت بخجل شديد لأننى رأيتها وهى تتأوه، أعلم أنها لم تحب يوماً دخولها على مرضى يمارسون طقوسهم اللاإرادية فى التعبير عن آلامهم التى لم تستطع المسكنات أن تكتمها.

obeikandl.com

قال الأطباء: هناك أمل فى الشفاء وقالت هي: لا، من أين يأتون بذاك الأمل البعيد؟ لماذا يوزعون حبوباً للأمل لا تعطينى إلا القليل من الهلاوس والخزعبلات التى لا يصدقها عقل ولا جسد.

هذا الجسد سيفنى وسيفنى معه هذا القلب الكبير، وسيتبقى منى بعض من الذكريات العابرة ستتلاشى مع مرور الزمان حتى أصبح نسياً منسياً.

هذه هى الحياة بلا رتوش. نسيان وتوهان بلا أمل، فلتوفروا نقودكم على من يبحث عن الحياة فأنا زاهدة فيها، وفى آلامها وأنوارها الخادعة وأصحابها الزائلين الميتين يوماً ما، أنا لا أريد حياتكم الغرور فهناك حياة أخرى تنادينى وهناك قبر يستعد لاستقبالى مفروش لاستقبالى بالورود والأضواء الساطعة، أكاد ألمح أمى تنتظرنى ومعها جدتى المتوفاة قبلها وطفلاً صغيراً كنت قد أنجبته ورحل قبل أن أغرقه بالقبلات والأحضان .

التفتت لى وقالت : أعتذر بشدة لأنكِ رأيتنى فى وضع لا يليق، ولكنه المرض لعنة الله عليه، ثم التفتت إلى ابنتها وزوجها وقالت : لا توقظونى سأنام نومتى التى قد تكون الأخيرة دعونى أراجع أعمالى وأتابع سير هفواتى وأخطائى، دعونى أستغفر عن ذنوب ارتكبتها أو لم أرتكبها، وعن فضائل كان فى نيتى أن أمارسها و لم أمارسها، دعونى وحدى، ثم وضعت جنبها وبدأت

رحلة الفناء، حاولوا إيقاظها بعد خمس ساعات من النوم الهاديء المتواصل فلم تستجب لهم، عادت الابتسامة إلى وجهها الذى تسكنه أشباح جمال كان يعيش ومات منها مع طعنات المرض اللعين، بدأت تسترد عافيتها وثقلها الذى كان قد ضاع منها وباتت كالحجر لو سقطت أرضاً لتفتت جسدها المسجى على طاولة الغُسل، دخلت ابنتها لتشارك فى غُسلها، كانت تبكى وتلومها على موتها، لماذا لم تحاربى المرض من أجلى لماذا تنازلتِ عنى وأنا مازلت أحتاج وجودك بجوارى؟! أشعر اليوم بخيانتك أيتها الغالية، تبحثين عن الراحة والعلاج بين ذراعى الموت، لماذا استسلمتِ للموت بدون مقاومة ألا تستحق منكِ ابنتك بعضاً من الصبر والجلد، استيقظى ياأمى أنا أحتاجك، من لى فى الدنيا بعد قلبك؟ من سيبقى بجوارى إذا كنتِ أنتِ هجرتنى، ألا أستحق منكِ عناء البقاء؟!

ومع شعورها الحانق بالغدر والخيانة تحجرت الدموع فى عينيها، استسلمت لخيانة أمها النكراء وجلست تفكر وحدها فيمن تبقى لها فى هذا العالم، ووجدت عدد من يحلون محل أمها صفراً لا محل له من الإعراب، مجرد عدم، هى من غير أمها فناء أبدى، فتراجعت عن قرارها بعدم البكاء وعادت لها الدموع أمطاراً غزيرة لا تتوقف.

كانت تبكى على نفسها لا على الراحلة.

أما أبوها فكان يتأمل الجميلات حول النعش ويسأل عنهن، من هذه ومن هذه ومن تلك؟ كان الحشد يقول إن عقله قد خف وتاه منه جراء الحزن العميق، ولكنهم لم يعرفوا أن سؤاله كان لهدف فى نفسه، وهو البحث عن أخرى تحل محل المرحومة وتعيد له شبابه الضائع، أنهكه السكر والضغط وأمراض الشيخوخة ولكنه يرى نفسه "أبو الشباب" وعليه أن يبحث عن نصفه الآخر بعد أن يتخلص من النصف الذى سقط صريعاً ميتاً منه واستودعه فى قبره، كان يشعر براحة غريبة لأنه لن يذهب مرة أخرى مع المرحومة فى رحلة علاجها الميئوس منها، لكنه سيفتقد لمسة يديها الحانية على يده وطاعتها العمياء ونقودها الكثيرة التى كانت تضعها فى يده أول كل شهر، تذكر المنبع الذى انقطع ومعاشها الذى سيتوقف عنه، فأخذ يبكى بحرقة شعر معها الجميع بالشفقة عليه، إنه رجل مخلص لزوجته، لا يعلمون بالطبع أن إخلاصه لمعاش زوجته ومساهماتها المادية معه لا لها.

أما أختها فكانت تتابع السواد الذى ترتديه النساء حزناً على أختها، كانت تتعجب لأن الجميع يبكون عليها بحرقة وكأنهم أفراد من عائلاتها، أخذت تبحث عن دموع ترثى بها الفقيدة فلم تجد، كان الجميع يسأل عن أخت المرحومة ليشاهدوا سيول الدموع المنهمرة فلم يجدوا للسيول أثرا، حاولت أن تخفى عينيها بمنديل أبيض تدارى به

ندرة الدموع فى عينيها ففشلت، وضاعت جميع مساعيها هباءً، نظرت إلى ابنة أختها وتذكرت حالها عندما كانت أمها مسجاة فى نعشها، تذكرت اليتم الذى حاصرها والألم الذى أنهكها فبكت بحرقة ونجحت مساعيها فى استجداء الدموع وانهارت جبال الجليد. كانت تبكى أمها التى وافتها المنية منذ ثلاثين عاماً لا أختها الراحلة. أما زميلتها فى العمل فكانت تتذكر طيبة الراحلة وقدرتها غير العادية على امتصاص غضبها، تتذكر أنها كانت السبب أكثر من مرة فى الصلح بينها وبين زوجها بعد أن كادت تهجر البيت أكثر من مرة ويقع الطلاق بينهم، الله يرحمها كانت ست طيبة بتحب الخير، ثم تذكرت كيف ستصبح حجرة المكتب باردة دون دفئها وحبها وصحبتها فانهارت فى البكاء حتى أصبحت عيناها قطعتين من الجمر الحارق.

أما جارتها فكانت تجلس فى صمت تتفحص الأهل والأقارب وزملاء العمل، تحاول جاهدة أن تستكشف الدموع الزائفة من الدموع الحقيقية، سلاحها الوحيد كان نظرة واحدة متفحصة وكنز من القصص والنوادر والحكايات التى كانت تصلها بحكم جيرتها الطويلة بالمتوفاة، كانت تعرف سبب بكاء ابنتها التى ترفعت عن خدمة أمها فى الأيام الأخيرة بعد أن أنهكها التعب واليأس والملل، تعلم أن الأب سيفتقد معاش الراحلة لأنه سيتزوج بعدها من أخرى، وتعلم جيداً الشجار الذى نشب بين المتوفاة وأختها بسبب رفض

المرحومة لزواج ابنتها من ابن أختها العاطل عن العمل، كل يبكى على ليلاه، وتعددت الأسباب والبكاء واحد.

انفض الجمع، البعض يلوك سيرتها بالخير والبعض يتحدث عن الشاى والقهوة الذى كان ماسخاً، والبعض الآخر يتحدث عن الدموع التى انهارت، ومن كانت دموعه أكثر من الآخر، وعن مكان المدفن البعيد عن العمار ثم اتهموهم بأنهم اختاروا مدفناً بعيداً حتى تكون لهم حجة قوية فى عدم زيارتها مرة أخرى، وعن الملابس السوداء وبعض النساء المتبرجات الكاسيات العاريات من وجهة نظرهن، لم يروا جميعاً فى الركن امرأة عجوزة تبكيها من أعماق قلبها، كانت المتوفاة تعطف عليها، كانت تدعى لها بالرحمة والمغفرة، كأن عملها الطاهر جاء يؤنسها ويشد من أرزها ويخبرها بأن لها عملاً يقف بجوارها فى وحدتها الأبدية القادمة.

أما صاحبة النعش فكانت مشغولة فى زفافها إلى قبرها لا تفكر فى زوج أو ابنة أو أخت، ستكمل مشوارها وحيدة فى حفرتها المتر فى متر بلا ونيس ولا أنيس لا شيء باق معها إلا عملها الصالح منه والطالح، الذى يضعها فى حفرة من حفرات جهنم أو يعلو بها داخل قصر من قصور الجنة.

حضرت وداعها الأخير، فهاأنا أفقد صديقة لن أنساها ما حييت سأتابع صفحتها وكأنها تحيا بيننا، سأرسل لها دعواتى كلما هفت ذكراها على قلبي.

أنا أنثى

سأقضى ساعات نهارى مع سامية وهى فتاة يراها أصدقائها الجدد فتاة جميلة تعيش فى ألمانيا لتكمل دراستها، مولعة بالتصوير السيلفى، صور من لا يجد من يصوره، بيدى لا بيد الآخرين، حتى لو كانت الصور تشبه صور بطاقات تحديد الهوية، تكتب سامية كثيراً عن أنوثتها وعن مكياجها وملابسها التى تختارها بعناية وعن شعرها الذى ترغب فى الحفاظ عليه وان تجعله ينموا بسرعة.

تكتب أيضا عن جمال ألمانيا وحرياتها ولولا افتقادها الشديد لأمها لاعتبرت نفسها تعيش فى جنة الله بلا منازع على أرضه.

ولكن هيهات أن تكتمل سعادتها فقد حرمها أبيها من أمها وهربت من سجنه بمساعدة أمها المغلوبة على أمرها.

هربت؟ لماذا تهرب سامية ؟

عدت إلى تاريخ سامية، حيث أصبحت كل صفحة على الفيس بوك تحمل تاريخ صاحبها كاملاً، تاريخاً

موثقاً بالصور والمشاعر والأحداث والآراء، تاريخ القلوب والمعلومات والجنس، انتهيت من تاريخ سامية لأكتشف أنها أنثى حديثة العهد بالأنوثة.

تنتمى سامية لأسرة لها جذور تعود إلى العائلات القديمة التى مارست وأد البنات معنوياً، لم تحصل فتاة فى أسرتهم على شهادة أكبر من شهادة الثانوية، لم يهتم ذكور العائلة بتنفيذ شرع الله وإعطاء بناتهم مايستحقونه من ميراث ، كان والدها من كبار أعيان المنيا، استهل حياته الزوجية بإنجاب اثنين من البنات هم فرحة وريحانة، ثم تبعهما بالثالث طفلها سامى، فخر العائلة وحامى حمى سمعتها .

كبر سامى ديك البرابر، وفى مرحلة المراهقة شعر أن هناك خطأ ما، لم تظهر عليه علامات البلوغ، صوته مازال ناعماً وجسده كان خالياً تماماً من الشعر وملامحه كانت تزداد نعومة، وصدره ينمو بدلاً عن نمو شعر ذقنه، استيقظ فى أحد الأيام وقد وجد فى ملابسه الداخلية بعض من قطرات الدماء، لم يفهم السبب، ذهب إلى أمه وقد أصابه الرعب فأخبرت والده بأن سامى فى حاجة إلى طبيب يكشف عليه ليخبرهم بما يحدث له.

ذهب الثلاثة عند الطبيب ليطلب منهم عمل أشعة وفحوصات ثم العودة مرة أخرى ليعطى سامى العلاج المناسب لحالته.

عاد الأب والآم وسامى ومعهم الفحوصات والأشعة ليخبرهم الطبيب بخبر هد كيان والد سامى: ابنك بنت ياحاج.

تحول وجه الأب إلى لون الليمون الأصفر، وقال له: كذاب، من دفع لك لتقول هذا الكلام الفارغ.

قال له الطبيب : جميع الفحوصات تقول ان لأبنك رحم ونقاط الدماء ماهى إلا دورتها الشهرية، وصدرها ينموا لأن هرموناتها الأنثوية نشطت مع سن المراهقة عندها..

والعضو الذى ترونه فى الخارج هو تشوه ظاهرى لا أساس له ولا هرمونات تسنده.

رد الأب بعصبية : مؤكد هناك من دفع لك لتجردنى من ابنى الراجل الوحيد، أعطيه علاجا يحافظ على ذكورته وإلا قتلتك.

يخاف الطبيب بعد أن يرى الشرر يتطاير من داخل عيون الأب يكاد يحرق القرية بمن فيها فيعطى سامى هرمونات ذكورية لعل وعسي.

لم تستطع الهرمونات أن تسجن أنوثة سامى المتفجرة، كان يميل للهو مع أختيه، ويرفض بشدة الانخراط فى الألعاب الصبيانية، وتزور الدموع عينيه سريعاً كلما عايره أحدهم بأنه ذكر ناقص الرجولة، كان سامى يشعر بالحيرة البالغة، فهواه الأنثوى كان أقوى من رغبة أبيه فى الإبقاء على ذكورته، طلب الأب من ابنه أن يلف رباط ضاغط

حول صدره ليمنعه من اعلان بروزه الظاهر، وكان سامى ينفذ دون اعتراض.

وفى أحد زيارتهم للطبيب وبعد أن أعطى الطبيب لأبيه وصفة أخرى لهرمونات أقوى، ليحذره من أن استخدام حقن الهرمونات سينتهى بلا شك بإصابة سامى بمرض السرطان.

وهنا استيقظت أمومة هنية وطلبت من الأب أن يستسلم للأمر الواقع ويرضى بقضاء الله وقدره ويتقبل أنثاه الثالثة.

ولكن الأب فضل موت ابنه عن تحوله إلى أنثى ..

أصاب سامى يأس بحجم الكون، فقرر أن يهرب ويترك أباه فى وهم إنجاب الذكور، ويرحل بعيداً فقام بمراسلة جامعة فى ألمانيا وطلب منهم منحة دراسية وبالفعل حصل عليها وسافر وترك البلد وهناك أطلق سراح أنوثته وغير اسمه من سامى إلى سامية .

وأصبحت سامية (سامى سابقاً) فتاة لا تخشى فى الأنوثة لومة لائم وعندما عرف أبوها مافعله ابنه تزوج مرة أخرى لكى ينجب ديك البرابر الذى حرمته منه الهرمونات المتنمرة .

أما صور سامية أصبحت أكثر إشراقا، تركت شعرها ليسترسل على كتفيها وضعت مستحضرات التجميل على وجهها وعاشت بجسد وروح وكيان أنثي، وبعد فترة بدأ

يظهـر معهـا فـى صورهـا شـاب يعـرف عنهـا كل الأسـرار، فمواقـع التواصـل الاجتماعـي جعلـت الأسـرار مشـاعا للجميـع، أصبحنـا لا نكـذب ولا نتجمـل فـى المجمـل، نقـول أسـرارنا لنتحـرر منهـا ومـن سـطوها علـى أقدارنـا، لا أعلـم هـل تعتـبر هـذا الفعـل الجديـد ضمـن المميـزات أم عيبـاً مـن العيـوب.

obeikandl.com

بوابة الماضي

لا أعلم لماذا صور حسام بالذات هى التى تُذكرنى بحياتى فى الريف رغم أنه لا يمت بصلة إلى أهل بلدتى الصغيرة، فكلما رأيت صور حسام تذكرت طفولتى المُبكرة فهو يُذكرنى بمدرستى القديمة فى الريف ويدخلنى بحواديته التى يكتبها على صفحته، بمستنقعات الطين التى تتحول إليها قريتنا الصغيرة عند هطول الأمطار.

هل لأن حسام يمتلك نفس الجسد النحيل الذى كان عليه خالى عبد الفتاح رحمه الله والذى كان يصارع الأمطار بدراجته فيغرس فى الطين تارة ويقع بنا من عليها تارة أخرى ثم ينتهى به المطاف ليحمل دراجته على كتفه ويتركنا لنغوص فى الوحل؛ فالدراجة فى تلك المحنة لا تصلح لتنتشل أحداً من غرسته، فكنا نسير بجوار خالى حاملين على ملابسنا آثار الطين الغالى الثمين الذى يذكرنا بأننا من الطين خُلقنا وإليه سنعود.

ثم يُذكرنى خالى بجدتى رحمها الله وبيتها المُتهالك الذى فارقته الحياة مع رحيلها عنه وقروشها القليلة المبروكة،

فأتذكر اليوم الذى طلبت منى فيه أن أمسك خمسة قروش كاملة لأذهب وأشترى لها كيلو طماطم بالتمام والكمال حتى تصنع الطبيخ وتضعه على النار، وعندما عدت باكية لأن البائعة نهرتنى على قروشى الخمس التى لا تكفى شراء شيء، ذهبت جدتى بنفسها واشترت كيلو الطماطم وعادت راضية عن شطارتها وعن قدرتها على تحويل الخمسة قروش إلى مبلغ يُذكر، لن أنسى كسرة الخبز البلدى الذى يحتوى على كمية كبيرة من السكر الذى كانت تعده لنا جدتى الحبيبة لكى تسد به جوعنا والذى ترك آثاره الآثمة على أسناننا اللبنية والتى احتار الأطباء فى علاجها، لقد سففنا تلك الفترة مايسد حاجة بلد كاملة من السكر.

وهل نستطيع أن تنسى برطمان جدتى السحرى الذى كان يحتوى على كنز من النقود المعدنية، التى كان فى استطاعتها سد عجز أى طاريء يقابل جدتى، والذى تحولت فكرته إلى إرث عائلى فى جميع بيوت العائلة، كلنا نملك فى بيوتنا برطمان النقود المعدنية الخاص بفك الأزمات.

تعيدنى كسرات الخبز بالسكر إلى أطفال العائلة الذين كانوا يلهون معنا والذين كانوا يتفننون فى جمع العرائس والدُمى ثم عمل مقبرة جماعية لوضع أشلائها داخلها بعد تكسيرها حتى نشفى رغباتنا المكبوتة فى التدمير.

ثم تعيدنى أشلاء العرائس الصغيرة إلى أشلاء الجرائد والنقود التى كنت أمزقها لأحصل على يوماً لا يُنسى من

الغضب الأبوى والذى كان يفشل فى إقناعى بأن ما اقترفته يداى هو خسارة فادحة فى دخل الأسرة البسيط نظراً لحداثة سنى وقصور عقلى عن الفهم المنطقى للأشياء، ولكن أبى تعلم من يومها بأن النقود لا يجب أن توضع عارية أمام يدى الصغيرة لما لها من إغراء شديد لدى طفلته الصغيرة.

أرجع إلى رائحة الجاز على شعورنا واللمبة الجاز التى كنا نعشق انقطاع النور من أجل عينيها وضيها الحميم، والتفافنا حولها على طبلية قديمة مُتهالكة فتحلوا المذاكرة رغم الظلام الدامس وتتكالب علينا الواجبات رغم الكسل القديم.

يذكرنى حسام بطلته الريفية الطيبة بالغيط المزروع بالذرة والذى كان يقع مواجهاً لبيتنا المبنى بالطوب الأحمر، فكان شاهداً صامتاً على طائراتنا الورقية التى كان يصنعها لنا أبينا كلما نزل فى أجازته من عمله فى القاهرة.

حين أزور حسام فى صفحته، أدخل فى سراديب الماضى القديم العتيق كزجاجة نبيذ باهظة الثمن لأن صاحبها وضعها فى قبو ونسيها حتى ارتفع ثمنها وطاب طعمها، العالق بتلابيب الذكريات التى لا استطيع أن أحيا دون التزود بها كوقود لرحلة حياة لم تعد كما كانت، الآن فقط فهمت لماذا يُذكرنى حسام بالريف.

خارج حدود القلب

فى مقاعد الحياة نحن من نختار أماكننا التى نجلس عليها، قد نختار الجلوس فى مقاعد المشاهدين الذين يكتفون بإصدار أصوات تعبر عن الإعجاب أحياناً والاشمئزاز والتفاعل أحياناً أخرى أو التصفيق فى نهاية الفيلم.

وقد نأخذ أدوار البطولة فى قصص لا نستسيغ تسلسل الأحداث بها، ولكننا مضطرون أن نشارك بها رغماً عنا، وقد نعمل فى فن صناعة الفيلم نفسه نحرك الأحداث ونغير فيها كما نشاء ويشاء لنا الهوي.

لقد اخترت بمحض إرادتى أن أجلس فى مقاعد المشاهدين، لأتابع قصة نوال، التى تهوى أن ترش حول نفسها وشخصيتها القليل من مسحوق الغموض الساحر، وهدفها من ذلك ألا تكون كتاباً مقروءاً يتناول مفرداته الجميع.

لا تتشارك معنا نوال فى الكثير من تفاصيل حياتها مجرد صورتين لطفلين يلهوان على شط بحر مرسى مطروح الساحر، ثم صفحة خاوية تماماً إلا من بعض الأدعية التى

تستجدى بها القليل من الصبر الذى تحتاجه فى حياتها، ثم بعض من الآيات القرآنية التى تمدها بالسكينة والهدوء.

كيف أجعلها تتخلى عن غموضها وتُلقى دروع مقاومتها لكى أقتحم شرنقتها، الفضول يكاد يقتلنى، لماذا لا توجد صور لزوجها على صفحتها؟ لماذا تظهر وحيدة دائماً، حزينة كثيراً، والأهم من كل ذلك لماذا تناجى ربها وتطلب منه الصبر.

كتبت يوماً على صفحتى أننى على أتم الاستعداد لمشاركة أصدقائى همومهم، مؤكدة على أننى لن أحكم على أى شخص مهما اقترفت يداه من أخطاء بشرية معتادة أو غير معتادة، فمن المفيد جداً اقتسام الهموم مع من يستطيع أن يتفهم طبيعة النفس البشرية التى تخطيء وتصيب، كنت أقصد نوال من مناشدتى تلك، صنارة فيها طعم ألقيت به لكى أجتذبها فقد أتعستنى أحزانها.

دخلت نوال على صفحتى وأرسلت لى رسالة شخصية، كتبت فيها :

بعد السلام والتحية

أحتاج أن أتحدث معك فى أمر يهمني.

أنا تعيسة، أبحث عن قشة أتعلق بها فكونى لى قشة وأنقذينى من ألغام تسكن عقلى، الذى أصبح يزن كثيراً حتى أننى أكاد أتنازل عنه لأول طارق يطرق بابه دون رجعة.

openkanal.com

اجتذبتها بطُعمى، الذى ألقيت به ثم استمعت إلى شفرتها التى تطلب من خلالها المساعدة دون الحاجة أن تكتبها صراحة.

أبديت استعدادى التام للاستماع لها مع وعد لن تتغير بنوده بأننى لن أحكم عليها، ستفضفض فقط لعل مشاركتى لها تساعدها فى التوصل لطريق أفضل تسير فيه.

فأرسلت لى رسالة أخرى كتبت فيها مايلى :

كان رجلا فى بداية الأربعينات وكنت فتاة على أبواب الثلاثينات، جمع بيننا صالون مُذهب وكوب من الشاى وقطعة من الحلوى، جلسنا نتعرف لأول مرة فى صالون بيتى فى حضور أمى، رحمة اللّه عليها، وأخى وصورة تتوسط الحائط لأب حنون فارق الحياة ولم يفارق الروح.

جمع بيننا ارتياح وأمل يتحسس خطاه نحو حب سيأتى حتماً بعد الزواج، ورغبة فى تأسيس منزل وبيت وحياة جديدة.

انصرف العريس وجلست وفى يدى ورقة وقلم تعدد العيوب والميزات، ليس وسيماً وليس شديد الثراء ولكننى سأتنازل فقد قيل لى إن الرجل بما يعطى وليس بما يملك، مزقت الورقة التى لم أكتب بها شيئاً، لأننى كنت قد حسمت أمري.

أى عريس والسلام.

لم لا أوافق عليه يكفينى القليل من الارتياح؟! سأوافق لأننى متوسطة الجمال ولأن الثلاثينات تطرق بيديها القاسيتين على بوابات سنوات عُمرى، ولأن قطار العمر يدهس بلا رحمة، ولأن الثلاثينات التى تصطحب معها كلام الناس وخوف أمى وشبحا قادما من مجتمع يعتبر المتأخرات عن الزواج مُذنبات بتهمة مشينة لا يد لهن فيها.

تزوجته بسرعة وكأننى أباغت قلبى بصدمة كهربائية عنيفة لأفرض عليه أمرا واقعا وحياة مع غريب أقتحمه، وبدأ يضع أغراضه داخل حجرات قلبى، يلفظ القلب أحياناً هذا الدخيل ولكننى كنت أقنعه دوماً أن يرضخ ويستسلم، ويتحمل ثقل ظله، كان قرارى حاسماً إن لم أتزوج من أحب فسأهيم عشقاً بمن أتزوجه، وبدأت أتعايش مع عيوب أكتشفها وزوج يحتاجٍ إلى حقنة مُنشطة كلما أراد أن يُضاجعنى، لم أخبر أحداً بسره، تأقلمت مع العيوب قبل المميزات، اعتمدت على عقلى الكبير وصبرى العميق، بدأت معه رحلة علاج طويلة استمرت سبع سنوات لكى أحصل على طفل منه، وحصلت بالفعل على تؤام عن طريق الحقن المجهرى، وبدأت سعادتى كأم حنون اشتاقت للأبناء تعرب عن نفسها، لقد أهدانى الله بزهرتين جميلتين سأشغل وقتى فيهما، وضعت أنوثتى ورغباتى فى صندوق وأغلقت عليهم، وأخرجت رداء الأمومة وارتديته.

obeikandl.com

ولأن الهم ضيف ثقيل الظل لا يحتاج إلى دعوة لكى يزور بيوت العباد، زارنى الهم فزوجى الذى سترت على عيوبه بدأ يتغير، يتغيب بالساعات فى الخارج، تليفونه دائماً مشغول، عقله شارد، يدخل البيت فيجعل تليفونه الجوال على الصامت ويفرغ جميع المكالمات الواردة والصادرة من عليه.

انتابتنى الشكوك ولكننى تراجعت عنها، فهذا زوج رغباته الجنسية محدودة، ولولا أننى ابنة أصول لما صمدت معه زوجة اسماً لا فعلاً كل تلك السنوات.

بدأت تنتابنى حالات من فقدان التوازن، اضطررت بسببها إلى أن ألجأ إلى الغيبيات لعلنى أجد فيها بعضاً من الحلول التى أحتاجها، فطلبت من صديقتى التى اشتهرت بقدراتها على قراءة الفنجان أن تقرأ لى فنجانى، كنت أبحث داخل فنجانى عن أى بارقة أمل، أو عن وهم يخبرنى بأن خيانة زوجى لى لا تعدو إلا أن تكون مجرد أوهام تزور مخيلتى، ولكن حتى فنجانى كان قاطعاً كحد السيف، أخبرنى بخيانته وكنت أبحث عن إخلاصه المفقود بين خطوط خلفها البن.

كانت حالتى النفسية تزداد سوءاً، ومرات غياب زوجى عن البيت تتزايد والبخل يتزايد معها، أردت أن أقتل الشك باليقين، فاشتريت جهاز تنصت ووضعته فى سيارة زوجى وانتظرت النتيجة، وبعد يومين أخذت الجهاز وبدأت أستمع إلى زوجى وهو فى سيارته.

فوجئت بـه يقضى عشرات الساعات وهـو يتحـدث فـى التليفـون مـع أخـرى، الدلوعـة، هكـذا أطلقـت عليهـا، تحـاوره بغنـج فتنهـار مقاومتـه ويتحـول هـذا المريـض البائـس إلى رجـل سـعيد لـه رغبـات كبقيـة الرجـال.

نعـم زوجـى يخوننـى، انهـرت، بكيـت، ولولـت علـى الصـبر الـذى ضـاع هبـاءً تـذروه الريـاح، وقـررت الانتقـام سـأبحث عـن آخـر ليعطينـى أحضانـاً افتقدتهـا، ويعوضنـى عـن طعنـات زوجـى النكـراء، أردت مـن يثبـت لى أننـى أنثـى تُعشق، خرجـت للعمـل مـن جديـد بعـد أن كنـت قـد اعتزلـت العمـل واكتفيـت بـأن أكـون زوجـة رجـل ناجـح.

ولأن الخيانـة بئـر مسـمومة لا يسـتطيع الجميـع أن يشـربوا منهـا، نعـم أعـترف أننـى فشـلت فـى الاحتفـاظ بزوجـى ثـم فشـلت فـى ممارسـة الخيانـة، حتـى الخيانـة فشـلت فيهـا.

كم أنا بائسـة !

دموعـى كانـت تنهار كلما هممت بالبحث عن عشـيق.

كنـت أشـعر أن جسـدى يعيـش فـى عـالم غـير عالمـى، ليسـت هـذه الحيـاة التـى كنـت أبحـث عنهـا، شـعرت أننـى دخلـت وكـراً للنجاسـة، فقـدت بـراءة أفـكارى وحالـة الرضـا التـى كنـت أحـاول أن أحتمـى داخلهـا.

بـدأت رغبـات الأنثـى تصـرخ داخـل جسـدى وتوقظنـى ليـلاً وتتسـبب فـى نوبـات بـكاء هسـتيرية تصيبنـى كلمـا

غـادرت الشـمس سماءهـا، صرخـت رغباتـى تطالبنـى بحقـى فـى رجـل يـروى عطشـى، ويطفـيء لهيـب أنوثتـى، كنـت أنهار وأضعـف كلمـا اسـتمعت إلى تسـجيلات زوجـى مـع الأخـرى، هاهـو يتمـرد علـى صـبرى، فلمـاذا أتمسـك أنـا بالصـبر الـذى جعـل منـى أنثـى مـع وقـف التنفيـذ، قـررت أن أقتنـص حقـى سأواجهه، وأطلـب منـه الطـلاق، سـأفقد بيتـى حتـى لا أضطر إلى التضحيـة بنفسـي، هـل أخطـأت فـى حـق أبنائـي؟ هـل سيسـامحونى عندمـا يكـبرون علـى قـرارى الـذى لم أراعـى فيـه مصلحتهـم الشـخصية وحاجتهـم إلى أب يراعـى مطالبهـم ويهتـم بمصالحهـم، أمهاتنـا كانـوا أكثـر تحمـلا وتقبـلا منـا لتعـدد علاقـات الأزواج، لم نسـمع عـن حـالات طـلاق كثـيرة كمـا يحـدث اليـوم، لا أعلـم لمـاذا تغـيرت مفاهيمنـا، كل مـا أعلمـه أننـى أحتـاج أن أبتعـد عـن الغـازات السـامة التـى تنبعـث مـن خيانـات زوجـى لى، سـأبتعد حتـى لا تصيبنـى لعناتـه، وحتـى لا أنـدم علـى تصرفاتـى بعـد ذلـك.، قـررت أن أنطلـق بعيـدا عـن خياناتـه التـى لا تنتهـي.

غيرتها

لن تسقط رحمة من ذاكرتى، لن أنساها أبدا، تلك العاشقة الولهانة التى زارت صفحتى فى أحد الأيام وأخذت تتفحص صورى وتتبع آثار من تهواه وعلاماته على صفحتى، تعليقاته التى تفيض بوابل من الإعجاب، كادت الغيرة تلتهمها وتمصمص عظامها، وتنقض على عقلها، حتى قررت أن تواجهنى وجهاً لوجه، ستنزل أرض المعركة، وتشهر جميع أسلحتها الفتاكة، قررت رحمة ألا تكتم غيرتها منى أنا الملعونة التى ستسرق منها حلمها وهى تتلصص على عملية السرقة فى بث مباشر حى، كانت كالممسوسة تتكلم.

أرسلت لى على الخاص برسائل تحاول من خلالها أن تستفز داخلى أنوثتى، أخذت تشير إلى صورى التى تعتقد أنها صور قديمة وأننى بالتأكيد أكبر سناً مما يظهر، أخذت تنادينى بلقب طنط، كنت أقرأ رسائلها بشيء من الفضول، أنتظر نهاية لهذا الهجوم الضارى من سيدة لا أعلم عنها شيئا سوى اسمها الذى قد يكون مُستعاراً،

obeikandl.com

أعلم أن وراءها شيئاً خافياً، كتبت لى، أعلم أنه يعشقنى، ولكن كرامته مازالت مجروحة سألتها عن من تتحدثين ياعزيزتي؟ هل أعرفه؟

كتبت لى: بالطبع انتِ تعرفينه، ولو أسعدك الحظ وتكلمتِ معه لن تنسيه، كم هو فاتن وساحر!

- يالها من عاشقة، يعجبنى هذا النوع من الجنون، جنون من تعشق حتى يتمحور الكون كله حول حبيبها، تجعله شمساً والآخرين كواكب صخرية، يدورون فى مداره، ومادامت عاشقة فلها كامل أعذارها فى أن تغار على من تهوى.

كتبت لها : أهو زوجك؟

كتبت لى : زوج أحلامى، لو كان للأحلام ألسُن لأخبرتكم عن زواجنا الأسطورى وحياتنا السعيدة التى نحياها داخلها.

قلت لها : إذاً لماذا افترقتم؟

قالت لى : فرقتنا قلة إمكانياته، وطمع أهلى فى حياة مرفهة تقارب مستوانا المادى والاجتماعى.

طلبت منها أن تحكى لى بالتفاصيل المملة، ماذا حدث لهما لعلنى استطيع مساعدتها ولو حتى من باب التنفيس عن خزين مشاعرها وعن مكنون نفسها.

كتبت تحكى : كان يعشقنى، لا يرى غيرى فى الكون، هو جارى وحبيبى ورفيق أحلامى، قبل أن ينهى عامه الجامعى الأخير قرر أن يتقدم ليطلب يدى من أبى، رفضه أبى بقسوة جلاد يعشق جلد الضعفاء، ويتلذذ بسماع أنينهم، خرج محسن حبيبى من بيت أبى محطماً مكسور الخاطر، صدمته كانت أقوى من قوة احتمال شاب عاشق ولهان، رسب فى امتحانات آخر العام بسبب حزن سكن فؤاده، قطع جميع صلته بى، فأنا الهدف الذى جعله فريسة لأبى، أعترف أننى استمعت فى صمت لوالدى وهو يطرد حبيبى ويشعره بأنه صفر لن يكتمل، ومستقبل غائم لا أمل فى إضاءته، لم يحتمل محسن نبرة التعالى فى صوت والدى، كان شاباً يافعاً رقيق الحال يستثمر الأمل فى خزانة مستقبله.

بعدها بأسبوعين تقدم لى زوج الأحلام الذى كان يراود أحلام والدى، شاب لا تشوبه شائبة، لجأت إلى محسن حبيبى أخبره عن نيتى فى أن أهرب ثم نتزوج ونضع أهلى أمام الأمر الواقع، ولكنه صمت ثم أخبرنى بأن حياته قد تجاوزتنى وأنه يعتبرنى حجر عثرة يعترض طريقه سيزيحه ثم يكمل مسيرته، وأنه قرر أن يقلب صفحتى للأبد، وعدنى وعد حُر بأنه لن يقرأ صفحتى مرة أخرى، ويتمنى أن أفعل المثل وأتزوج بمن اختاره والدى وأرتضى بالأمر الواقع، وبالفعل تزوجت منه، انتقاماً من محسن

ومـن نفسـى ومـن أبـى، تزوجتـه لكـى أثبـت وجهـة نظـرى، وهـى أن الحيـاة لـن تسـتقيم إلا بالحـب، كنـت أظـن أننـى هكـذا انتقـم مـن والـدى، ولكننـى ودون أن أشـعر كنـت أنتقـم مـن نفسـى لأننـى تركتـه، لم يسـتطع زوجـى أن يلمسـنى إلا بعـد شـهر كامـل مـن الـزواج، وذلـك بعـد أن وضـع لى مخـدرا قويـا فـى العصير، مخـدرا يشـل مقاومتـى، ولكنـه لا ينومنـى، كان اغتصابـا لجثـة هامـدة، لا حيـاة فيهـا ولا روح، يقـترب فتشـمئز روحـى، يقبلنـى بشـفتيه الكريهتـين فألفظـه وأزيـح وجهـى عنـه، كمـن يرفـض طعامـاً مُسـمماً يعلـم جيـداً تسـممه، يتلمـس جسـدى فيسـرى داخلـه تيـار مـن الأيونـات السـالبة التـى تطـرده بعيـداً عنهـا، يومهـا تحولـت مـن بكـر رشـيد الى امـرأة بالقـوة الجبريـة، حصلـت منـه علـى اللقـب وحصلـت أيضًـا علـى حيـوان منـوى كريـه قـام بتلقيـح إحـدى بويضاتـى المستسـلمة لهـذا الغـزو الخارجـى، أنجبـت منـه شـهد التـى نشـأت بينـى وبينهـا علاقـة تقـوم علـى الشـفقة لا علـى الحـب، أعـترف أننـى لا أحبهـا فهـى مـن منحتنـى لقبـاً لم أكـن أرغـب فيـه؛ لأنـه منحـة غـير مقبولـة مـن زوج أبغـض النظـر فـى عينيـه، كمـا أننـى كنـت مازلـت طالبـة فـى السـنة النهائيـة فـى كليـة الصيدلـة، كانـت زيارتـى الأسـبوعية لوالـدى ووالدتـى مجـرد محاولـة لعـرض شـامل كامـل لأبعـاد مأسـاة أعيشـها، كنـت أحمـل معـى كأس النـدم لأحـاول أن أسـقيه لأبـى مـراراً وتكـراراً، تدفعنـى لـذة التعذيـب لمـن دمرنـى ودمـر حياتـى، أدمنـت الحبـوب المهدئـة لكـى أحتمـل صـوت زوجـى الـذى كان

بمثابة بوق حرب أسمعه فتهتز طبلة أذنى معلنة إضرابها العام، وفى أحد الأيام، التى قلما يجود بها الزمان، مات أبى وأمى فى حادث سيارة، لقد انتهى أجل من كانوا يظنون أن تحطيمى جزء من رسالتهم السماوية على الأرض، حصلت على ميراثى وتركت بيت الزوجية مع ابنتى وانتقلت للعيش فى بيت والدى الراحل وحدنا، ثم طلبت الخلع لأننى وببساطة زوجة لا تقبل أن تقيم حدود الله مع زوج تراه فى كوابيسها حيواناً من الحيوانات المفترسة، أخيرا أخذت حريتى، وبدأت رحلة بحثى عن حبيبى، الذى كان قد أصبح مهندس بترول بعد التخرج، وقد تزوج من أخرى بالفعل وأنجب منها طفلاً هو الآخر، طلبت منه الصداقة على موقع التواصل الاجتماعى لأراقبه عن بعد دون أن أفصح عن هويتى، ولكننى لم أحتمل كثيراً؛ فبعد شهر واحد من المراقبة الدقيقة، أفصحت له عن هويتى، وعرضت عليه أن يحصل على ميراثى كاملا بشرط واحد هو أن يكون زوجا لى، ولكنه رفض، فأخذت أبحث عن الأخريات حتى وصلت لصفحتك، وقد فاجأنى كم التعليقات اليومية التى يكتبها لكِ.

كتبت لها أقول: هل ستغضبين منى إذا أخبرتك بأنه بالفعل حاول التقرب منى وطلب رقم هاتفى، ولكننى رفضت طلبه بشدة وعندما نهرته لأنه يلح فى طلبه، قام بإلغاء صداقتنا على الفور.

كتبت لى: لقد فقدت الآن القدرة على الصبر وهاأنا أبكى ألماً.

كتبت لها : ياصغيرتى لا تحزنى، واتجهى الى عملك وابنتك وعيشى ماتبقى من العمر لعلك تصادفين الحب من جديد، ويكون فيه تعويض كاف عما كابدته من جراح.

قالت لى : لا شفاء إلا معه، ولا حياة إلا داخل أحضانه.

افترقنا على أمل استكمال الحياة بعد أن طلبت منها أن تعتبرنى أماً لها، أماً من النوع الذى يحترم رغبات قلب ابنتها، وطلبت منها أن تمدنى بآخر أخبارها دوماً، هل أكملت طريقها أم عاد من تهواه إلى أحضانها بعد أن أخذ جولته داخل أحضان الأخريات.

openkandi.com

أين أبى؟

سأقابلها وأتعرف عليها وجها لوجه، فمن حقوق الصداقة علينا أن نحمل عن كاهل أصدقائنا بعضاً من أحزانهم، أعد نفسى أننى لن أشكو من ضيق وقتى أو انشغالى الدائم، أشعر أنها ابنة روحى التى لم أنجبها، لم يضعها الزمان فى طريقى هباءً، هكذا لقد وضعها لأسباب لا علم لى بها بعد، سأتعرف على أسباب الزمن الوجيهة عما قريب، إنها تحتاجنى بشدة، تحتاج لمسة حانية من صديق لا يستشعر ضيقا من قضاء وقته معها ومحاربة وحدتها وفراغها بسلاح الاهتمام، أخبرتها أننى مستعدة أن ألتقيها فى مكان عام حتى نتعرف عن قرب فى البداية، اتفقنا أن نلتقى فى شارع يقع بين بيتى وبيتها، فقد اكتشفت بالصدفة بعد صداقة إلكترونية استمرت لسنوات أننا جيران فى حى واحد.

وقعت عينى عليها قادمة من شارع جانبى، أنثى شقراء صغيرة السن، لا يبدو عليها أثر للزواج برغم أنها زوجة منذ عشر سنوات، جميلة الملامح رقيقة ذات أنف

رومانى شامخ، وجسد نحيل وأقدام تنم عن امرأة تعانى فى البحث عن مقاس حذاء يناسب قدميها الصغيرتين داخل محال أحذية الأطفال.

أخذت يدها الصغيرة داخل يدى فسرت بيننا ذبذبة ارتياح انتقلت من جسدى إلى جسدها، رأيت فيها صديقة مُقربة قادمة، قد تكون الحاسة السادسة التى أمتلكها هى التى أرسلت رسائلها لى، لتجبرنى أن أعطيها فرصة كاملة لكى نقترب من بعضنا البعض، أخذت تحكى لى عن أمها، فكانت الدموع رفيقة حكاياتها، رأيت من خلف دموعها طفلة تائهة فى غابة وحيدة لا تبحث إلا عن شيء واحد ينقصها، حضن أمها الضائع، يتيمة فى الثلاثينات من عمرها، طفلة فقدت وطنها الذى لا تمتلك غيره، تكلمت عن مرض أمها الأخير، وعن الحرب التى خاضتها الغالية ضد غيبوبة كبدية جعلت عقلها الذى كان مضرب الأمثال فى الاتزان، يتوه ويفقد مقدرته على التمييز السليم للأمور، كانت وأخواتها الثلاثة يجلسون تحت قدمى أمها يبكون من كانت سندهم فى عالم قاسٍ، صديقتهم الوحيدة فى زمن باتت فيه الصداقة من الأساطير التى نقرأ عنها فى كتب التراث القديم، تلك التى كانت لهم أماً وأباً فى نفس الوقت بعد أن غاب عنهم الأب بحثاً عن لقمة عيش فى دولة عربية من دول الخليج، كان ارتباطه بهم ارتباط بنك بعميله الذى يمده بما يحتاج إليه

من نقود، علاقة رسمية بين طرفين تربط بينهم أسلاك التليفونات، كانوا ينظرون له على أنه رمز، عنوان جميل لقصة مبهمة المعالم، هو بالنسبة لهم قصة خرافية تحكيها أم لم تذكر عنه إلا كل رائع وجميل، وقد اعتادوا أن يصدقوا آراء أمهم فى الآخرين، هى تدرى أكثر بمن اختارته رفيقا أبدياً لدربها، فلماذا يظنون السوء باختياراتها.

ولكى ينتبه هو لعمله فى خارج البلاد، تركت هى عملها فى مهنة المحاماة وتفرغت لتربية الأبناء، وتولت جميع أموره المادية بموجب توكيل عام منه لها، تقوم من خلاله بالبيع والشراء وسحب النقود التى تحتاج لتنفق على الصغار، كانت شريكة كفاحه التى تنكر ذاتها ليؤكد هو ذاته ومكانته، عقلها الذى يسيطر عليها كان منجماً للذهب، قررت أن تفاجئ زوجها فى زيارته القادمة بشراء شقة جديدة فى منطقة راقية تليق بوضعه الجديد، ستساهم فى دفع جزء من مقدمها بما ورثته عن أبيها، فهى تعتبر نفسها شريكة رئيسية لزوجها فى كل ما يملك.

اشترت الشقة ثم أنهت مهمة تأثيثها بأثاث فاخر، وانتظرت عودته ليقص معها شريط معيشتهم الجديدة، يتلقى التهانى عن النقلة الحضارية الجديدة، وأبدى إعجابه بفكرة شرائها لشقة أكبر والتى تقع فى منطقة راقية، ثم عاد فى منفاه الاختيارى من جديد وتركها مع أبنائه لتربيهم وتفنى معهم أيامها القادمة.

وفى مرضها الأخير، طلبت من أبنائها أن يعيدوا لأبيهم كل ممتلكاته فوعدوها بتنفيذ الوصية دون جدال، وبعد وفاتها حضر أبوهم ليحضر معهم الجنازة، كان منهاراً، يبكيها كالصغار، أشفقوا عليه وفى محاولة منهم للتخفيف عنه أسرعوا فى تنفيذ وصية أمهم، وأعادوا له كل ممتلكاته، وأخذوا يبحثون له عن زوجة جديدة، بل ويحاولون إقناعه بأن الحياة يجب أن تستمر وبأن أمهم ستكون سعيدة إذا رأته من أعلى وهو سعيد.

وكأنه كان ينتظر منهم المبادرة بدأ رحلة بحثه فوراً عن زوجة جديدة تسعده وتؤنس وحدته، حتى وجدها، سيدة مُطلقة عندها من الأبناء ثلاثة، وافقت بسرعة على الزواج منه فهو بالنسبة لها عريس مميز، تزوجها بالفعل وأخذها وسافر إلى السعودية حيث يعمل.

وهنا انقطع الأب عن أبنائه وأصبح كمن ماتت له زوجة ومعها أبناؤه منها، لم يعد يحادثهم ولو عن طريق الرسائل المقروءة، عاش بعيداً يساهم فى الإنفاق على أبناء زوجته الجديدة ونسى من هم من صلبه، فقط لأن أمهم لم تعد على قيد الحياة.

شعرت صديقتى بأن بيتهم انهار فوق رؤوسهم، فهاهو الأب الحنون قد أصبح فى عداد المفقودين، وهى تشعر باليتم وتستشعر أن القبر لم يعد يضم أمها فقط بل ضم معها أباها أيضاً، تحولت صفحتها على الفيس بوك إلى

سرادق عـزاء دائـم تسـتقبل فيـه دعـوات الرحمـة علـى أمهـا، وتتقبـل فيـه المواسـاة مـن الجميـع.

obeikandl.com

لحظات مسروقة

لبيك قلبي

نسمة حب، هكذا كتبت أسمها المستعار على صفحتها، لا أدرى لماذا وافقت على طلبها للإضافة فأنا لا أفضل التعامل مع من يخفى معالم شخصيته كطلاسم تستوجب الفك، ولكنها جذبتنى بصورها التى وضعتها على صفحتها ليس من بينهم أى صورة شخصية لها، جميعها صور تعبيرية تعبر عن امرأة ترغب فى التحرر وفك القيود، كلماتها التى تنشرها أيضاً تخبرنى عن امرأة أسيرة داخل سجون القدر، مدفونة داخل رمال متحركة كلما حاولت الخروج منها غرست أكثر وأكثر، تعيسة أحياناً وأحياناً أخرى تزورها نفحات عابرة من الأمل مجهولة المصدر.

كتبت يوماً على صفحتها تقول :

ياذاكرتى لا تنسى لفتاته، لاتنسى جبينه وكفا يديه وابتسامته ولا تلتفتى بعيداً عن عينيه، أحفظيه جيداً فأنتِ دفتر يومياتى الذى سألجأ إليه عندما يغيب عن ناظرى

obeikandi.com

هذا الحبيب، ثم أتبعت كلماتها بأغنية لأم كلثوم بعنوان "أغداً ألقاك".

من ذا الذى ستقابله ؟ لماذا يجب أن أنتظر على أحر من جمر موعد اللقاء، وأنتظر ماتذكره هى من تفاصيل، قد تكون غير كافية لمتلصصة مثلى تهوى التفاصيل، ياليتها أعطتنى دعوة لكى أذهب معهما فى موعد لقائهما المرتقب، لن أفعل شيئاً سوى أن أدون التفاصيل، سأعمل على أن أكون مفيدة جداً لها، لماذا تبحث عن دفتر يوميات تدون داخله أدق تفاصيل لقائهما وأنا موجودة، سأدون لها شكل نظراته وأسمع لها همهمات همساته غير المسموعة وأعد عليه أنفاسه، سأصنع لها مجلداً أضع داخله ألف ليلة وليلة من لقاء واحد، ستشكرنى عليه لاحقاً.

لماذا لا تعطينى اسمه وعنوانه لأذهب وأشاهده بنفسى، وأخبرها عن استعداداته لكى يقابلها، فالرجال أيضاً يستعدون من أجل لقاءاتهم الغرامية المهمة، ماأمتع مشاهدة رجل عاشق وهو يرتدى ملابسه للقاء حبيب مُرتقب، ياليتنى كنت معه الآن لأراه محتاراً فى اختيار أفضل ستراته ليترك انطباعًا رائعاً داخل نفسها، أى العطور سيختار، هل سيختار عطراً ذا رائحة هادئة تخدر مقاومتها له، أم تراه سيختار عطراً ذا رائحة عنيفة قوية تجتاح جسور أنوثتها وتقتحمها.

كيف ستستعد هي؟ ماذا سترتدى نسمة الحب؟ ماذا ستختار من ملابس لتصنع فى مخيلته يوماً لا يتكرر ولا يُنسى؟ جلست أتناول حيرتى داخل طبق من الخيالات والتنبؤات لعلنى أصل إلى أعمق أعماق نفسها العاشقة فتلبستنى روح هائمة تُدعى همسة حب، نعم إنها هى وقد أعارتنى روحها لأستنشق معها رحيق أحلامها، وجدت نفسى أتقمصها وأشعر بما تشعر، أعيش معها قصة حبها، فينبض قلبى ويهتف باسم حبيبها، اليوم قررت أن أستعير منها حبيبها لسبب واحد فقط وهو أن أدون لها تفاصيل يومها الذى لن يتكرر، لن تستطيع وحدها أن تُلم بتفاصيل الحدث العظيم، سيرهقها التركيز فى التفاصيل الدقيقة.

وجدتها تكره فى نفسها وفيه أن صوت العقل دائماً يعلو على صوت نبضات القلب، دائماً يفرق بينهما قدر يرفض أن يكون حليفاً لعاشقين لا تهنأ لهما الحياة إلا إذا اجتمعا وتبادلا بعضاً من الأنفاس والذكريات التى تستعصى على النسيان، خلقها الله بقلب ذى سعة صغيرة لا يحتمل إلا فرداً واحداً يعيش داخله ملك لا ينازعه فى ملكه بشر، لم تحب غيره ولم تستطع أن تصنع من قلبها سبيلاً توزع من خلاله مياه الحب لأى عابر سبيل يتطلع إلى شربة حب واحدة، كان يغيب فتنتظر مجيئه، يأتى فتتنفس كلماته، وتتناول مع قلبها حواديته وحكاياته، تتقبل حقيقة أنه مخلوق له عقل صارم متشبث بآرائه، ديكتاتور مع رعية

مستسلمة من أعضاء جسد خاضعة وقلب يعيش فى الظل لا يرغب أبداً فى ممارسة طقوس السيطرة.

وفى أحد الأيام العاصفة التى تهب فيها رياح موسمية عاتية تحمل فى داخلها الكثير من الحب، قررا أخيراً فى لحظة جنون غير معتادة أن يتركا زمام الأمور لقلبيهما، سيتركان قلبيهما يحركان جسدين اشتاقا للحب ولو ليوم واحد فى عمريهما، قررت هى أنها ستتحرك كالريشة فى مهب الحب لن تقول اليوم لا، ستصوم عن الاعتراض، ستترك الندم على أفعال هوجاء لأيام كثيرة قادمة.

قالت له : محتاجة أشوفك.

فوجئت به يقول لها : فين؟

باغتها السؤال، فقد توقعت أن يقول لها : فى المشمش، كما اعتاد أن يقول ممازحاً دائماً ولكنه كسر حاجز الخجل داخله هو الآخر ووافق بسرعة.

أخيراً ستراه، هذا الحبيب الذى عاشت تحلم به، أول وآخر حب يدق باب قلبها بشدة وبقسوة، أول نبض يتردد صداه فى قلبها، ستراه أخيراً، وستتكحل عيناها بمحياه، ستضع يديها أخيراً فى يديه، ستقبل عيناها عينيه، ستلتهم تفاصيله بنهم، تتمنى فقط أن تحصل على قطعة منه معها لتكمل مسيرتها فى حياة يسيطر عليها جفاف فى المشاعر والأحاسيس.

كان القرار مفاجئا لهما، لم يدرسا القرار جيداً، لم يشغلا بالهما بالتفاصيل البشرية المعتادة، أين ؟ ليس هذا هو المهم فجميع معالم الدنيا ستتحول إلى سحاب سراب أمام أعينهما، لن ترى غيره، ولن يرى سواها، لن يبقى لهما إلا عالم وردى اللون مهما كانت قتامة ألوان الواقع .

وقع اختيارهما على محطة مترو الأنفاق، ومن عندها سيقرران أين سيتجهان.

كان الزحام مميتاً، وهو الذى اعتاد على رفاهية المناطق الهادئة، وهى أيضًا لم تعتد على هذا الكم من الكتل البشرية المتلاصقة فى مكان واحد.

بدأ الخوف يتسلل إلى قلبها تخاف ألا تراه، بعد أن تعشم القلب فى الحصول على كأسه الأول من الحب المستحيل، تخشى أن يصطدم قلبها بواقعها المرير الذى اعتادت على رعونته.

تعلم جيداً أنه ليس لها، وهى لن تكون يوماً له، فالقدر يرفض أن يجمعهما معاً، وكم وقف أمامهما هذا العملاق كثيراً ليبعدهما عن بعضهما البعض، فرغم وجود مغناطيس عملاق يشد عينيه لعينيها إلا أن صوت القدر كان دائماً الأعلى والأقوى والأقدر على تنفيذ رغباته فى تفريقهما، توقعت أن يلعب القدر لعبته المعتادة ويرميهم فى متاهة من الأجساد البشرية اللامتناهية، اعتادت من

حياتها القاسية أن تتوقع الأسوأ دائماً؛ فالأفضل لا يأتى أبداً فى طريقها ولو مصادفةً.

حادثها على تليفونها النقال وأخبرها بأنه ينتظرها فى المحطة الأقرب لها وعليها أن تنزل من المترو لتراه، نزلت من المترو بقوة دفع قوية من عدد غير معلوم من الأجساد المتعرقة، ووجدته يقف فى أحد أركان المحطة ينتظرها، يرتدى سترة زرقاء اللون، يبدوا أنه اختارها بعناية من يختار أفضل ملابسه جميعاً، كان كنجم سماوى لامع نزل يتجول فى الزحام بين البشر، هاهو حبيبها الوحيد، هاهو يقترب فتقترب معه الحياة، وتهب معه نسمات الذكريات التى جمعت بينهما، هاهو يلمس يدها فينبعث دفء العالم من بين أصابعه ليجعلها تحترق بنار الحرمان منه، هاهى ترى عينيه أخيراً عن قرب، رأته أجمل من الصور كثيراً، أجمل من أجمل أحلامها وأكثرهم دقة، فوجئت بنفسها تتنازل عن كتل متراكمة من خجلها المعتاد، تضع يديها فى يديه وكأنه حق من حقوقها المشروعة، كأنه ليس من الممنوعات وكأنها خُلقت لتهواه وتتلامس معه، كادت تحتضنه أكثر من مرة ولكنها قاومت تلك الرغبة بشدة، أرادت أن تلتهم شفتيه بشفتيها المشتاقتين، أخذت تحلم بأن تتجول بشفتيها على جسده كاملاً، ياليتها تضع بعضاً من بصماتها عليه، ولكنها كانت تتذكر حقيقة وضعها ووضعه.

جلست معه على أحد المقاهى، اختارا ركناً بعيداً ليصنعا فيه تاريخاً جديداً من تاريخ ثورات القلوب، فصل واحد فى كتاب كامل تسير أحداثه على وتيرة واحدة، ستكون ثورة لمرة واحدة غير قابلة للتكرار أو الاستنساخ.

أخذت تلامس خده وذقنه وأنفه، تلتقط صورة مُقربة بعينيها ويديها لتحتفظ بهما داخل صندوق مخصص للذكريات النفيسة، تضعه داخل حجرة مميزة من حجرات العقل، ثم تغلق على أغلى ذكرياتها معه جميع الأقفال جيداً حتى لا يتسرب منه شيء للخارج، سيكون سرها الحربى الذى ستضعه فوق الورق ثم تمزق رقاب الورق حتى لا يفتضح أمرهما معاً.

نظر فى عينيها فرأى قطرات من الدموع تتفحص طريقها لكى تهبط على خديها ولكنها تخشى من برودة الجو فتبقى فى مكانها صامدة، متوجسة خيفة من المجهول الذى ينتظرها إذا قررت المغامرة والهجرة من موطنها الآمن، استقرت الدموع فى عينيها لتصنع بريقاً لاحظه هو، فسألها : لماذا أرى دموعاً فى عينيكِ؟

فقالت : معاذ الله أن تكون تلك القطرات دموعاً حزينة ياحبيبىِ، إنه القلب يصرح بما يخفى، لا تلتفت لدموعى أرجوكَ، ليس لدينا الكثير من الوقت لنمسح فيه الدموع، دعنى فقط أحفظ ملامحك جيداً.

ورغماً عنها وعن رغبتها فى ارتشاف كأس السعادة كله كاملاً، كانت تستسلم لدقات يد الحزن، فعينيها، تلك البائسة، كانت تعلم جيداً أن هذا اللقاء هو اللقاء الذى يسبق فراقاً طويلاً لا ينتهى، فهما فى النهاية مجرد اثنين من الأسرى داخل سجون القدر، الذى يتحكم بمصائرهم كيفما يتراءى له.

ماأتعس العشاق حين يفرق بينهما زمن دموى الهوى، يهوى أن يغرس أنيابه المتوحشة فى قلوبٍ هامت عشقاً، ماأتعسهم حين يلتقون وكأنهم لصوص يسرقون بعضاً من حقوقهم المنهوبة والكثير مما ضن به عليهم الأهل والتقاليد والنصيب.

طلب لهما كوبين من الشاى، كانت تتمنى أن يختزل الكوبين فى كوب واحد، رغبة منها فى أن تطأ شفتاها موطئ شفتيه، كانت ترغب فى التهام آثاره كاملة، ترغب فى تذوقه والذوبان فيه، والتوحد مع طعم ريقه الذى طالما حلمت بتذوقه.

وضع سيجارته فى فمه فراودتها رغبة محمومة فى أن تخطف سيجارته منه لتتذوق طعم شفتيه عليها، فرغم كراهيتها لرائحة التبغ إلا أنها لا تمانع فى تجربة سيجارة العاشقين، تلك التى تتجول بين فمين مشتاقين لقبلة حارة تجمع بينهما، تعلم أن السجائر ضارة جدا بالصحة إلا لو كانت بين حبيبين أرادا أن يمتزجا معا فى الهوايات.

ورغم أنه يدرى جيداً أن تلك اللحظات هى نفائس قاما معًا بسرقتها والتى لن تتكرر إلا أنه كان يحرمها من رغباتها الغريبة بقسوة، كان كمن يخشى التورط أكثر، وهى كانت على يقين أن التورط أكثر مستحيل، أخرجت من حقيبتها قطعة صغيرة من الشيكولاتة وأزالت عنها الغلاف ثم وضعتها فى فمه، لو كان مسموحاً لها لألقمته إياها كما تلقم العصافير صغارها، أمسكت بإحدى يديه ووضعت فمها عليها وأغمضت عينيها لتستحضر أعمق مكان وصلت إليه روحها، وطبعت قبلة حانية عليها بثت من خلالها حب جميع العاشقين.

لو تستطيع احتضانه فقط والذوبان داخل أحضانه التى كانت تراود أحلامها كثيراً، لو تسند رأسها على كتفه وتبكى بين أحضانه، وتترك شعرها بين أصابعه الغالية، لو تتخلص من حمولة أحزانها بين يديه لارتاحت كثيراً.

مرت الساعات بينهما دقائق عابرة، كان الزمن كمن يشارك بعند وقسوة فى ماراثون للجرى، فيقفز فوق حواجز الساعات ليصل أولاً ويسبق الثوانى، لا تتذكر سوى لفتاته، ويديها وهى تتجول على وجهه لتحتفظ بملامحه أطول فترة ممكنة فى ذاكرتها، ثم يديها وهى تبحث عن الدفء داخل كُم ملابسه، كان يتركها تعبث بيديها دون أى مقاومة تُذكر منه، يعلم حاجتها لتلك اللمسات، يعلم أن هذا أقصى تعبير عن الحب يستطيعان ممارسته، هذه

هى وسيلتها فى ممارسة الحب معه، لمسات عابرة وعطر يتجول من ملابسها لملابسه، عطر أكثر وفاءاً من أصحاب العطر أنفسهم، إنها تفتقده منذ الآن، تفتقد لمسات يديه وهى مازالت بين يديه، وعينيه وهى بين أهدابهما، تفتقد حياة غائبة عنها عادت فجأة لتترك بصماتها فوق تفاصيل أحلامها ثم تغيب من جديد.

أخذها من يديها وأخذا يتجولان فى الشارع بهدف الوصول إلى محطتهما النهائية، طلبت منه أن تشترى لنفسها حذاءً لترتديه بقية حياتها، عاملها كأمير أسطورى قادم إليها من داخل سطور قصة سندريلا، ونزل على الأرض ليخلع عنها حذاءها ويساعدها فى ارتداء الحذاء الذى اختارته، ياله من أمير ويالها من بائسة لأنها ستودع عرشها بعد لحظات وتعيش كأنثى أقل من العادية بعد أن كانت أميرة متوجة على عرش قلب حبيبها.

أكملا طريقهما معاً حتى وصلا إلى محطة المترو، وقفت أمامه لا تفعل شيئاً إلا النظر داخل عينيه، أدخل يديه فى حجابها ليبعد خصلة من خصلات شعرها، كانت قد استرقت النظر للخارج، لتشاركها فرحتها بلقائه، تعلم جيداً أنها مجرد حجة واهية ينتهزها لكى يلمس شعرها الذى يعشق خصلاته.

وعند وصول المترو إلى المحطة التى ينتظران عليها، خطف قبلة سريعة من وجنتها، كادت تفقدها الصواب،

ماذا سيحدث إذا ارتمت فى أحضانه؟ من ذا الذى سيستطيع أن يفرق بينهما؟ هل توجد قوة على وجه الأرض لديها من الشجاعة ما يمكنها من الإتيان بفعل فى قسوة التفريق بين قلبين عاشقين؟

خمس ساعات مرت وكأنها على كوكب آخر تناست فيه عالمها ومن فيه ومن عليه، وذهبت إلى كوكب آخر، فيه الحب هو الحاكم، لا يسكن فيه إلا هى وحبيبها، كوكب لا مكان فيه للهموم والأوجاع ومشاكل البشر، كانت ملائكية المشاعر، تحب بكل خلية من خلايا جسدها، اليوم يوم الحب فقط، يوم تغزل فيه ثوباً جديداً من أثواب الذكريات الفاتنة، ثوباً سترتديه بقية حياتها لتستطيع أن تتواصل مع لحظاتها السعيدة، ستضع تلك اللحظات مع صويحباتها فى ركن هادىء بعيداً عن الضوضاء والصخب.

يكفيها منه القليل من الذكريات التى ستحتفظ بهم وتضعهم فى الحفظ كزاد وزواد لبقية الرحلة، ستحرص على ألا تهدرهم؛ فهم قبلة الحياة لقلبها الذى كاد يموت إكلينيكيًا لعدم استطاعته تنشق نسمات العشق.

ستترك ذكرياتها جانباً، ثم ستعود زوجة وأماً لطفلتين تفنى فى حياتهما عمرها، ستترك وطنها الذى سكنته لسويعات تعنى لها العمر كله، لتسكن غربتها المكتوبة فوق جبينها، ستضحى من أجل عيونهن بسنين تمر وتعبر مع زوج لا ذنب له إلا أنه تزوج منها وهو لا يعلم بأنها مصابة

بوباء اسمه الحب الذى لم تستطع أبدًا أن تشفى منه.

أأكمل معها قصتها؟ أم أتركها للحظاتها التعيسة وأكتفى بهذا القدر من السعادة التى تقاسمتها معها، فأنا أيضاً لدى الكثير لكى أهتم به، ومايزال لدى العديد من القصص والحواديت التى تنتظر راوياً ليرويها، هل أذهب إلى بيتها وأتابع عن قرب كيف ينفطر قلبها كل يوم بعيداً عن حبيبها، هل أتابع حبيبها وهو يذبحها بسكينة تلمة عندما يمتنع فجأة عن الرد على تليفوناتها ويشعرها بأنها سلعة رخيصة تمتع بها قليلاً ثم يتركها وحيدة على رف الذكريات المُخجلة، حبيبها الذى ظهر فى فنجانها فجأة، ثم اختفى فجأة وكأنه رشفة مُحرمة من مشروب السعادة الزائلة، رحل دون وداع يليق بما كان بينهما، وكأنها كانت تعشق لصاً من اللصوص سرق منها ابتسامتها وهرب، وتركها تبحث عن ابتسامة للإيجار، وتركها تسبح داخل بئر من الدموع الغزيرة، كلما حاولت أن تطفو لأعلى غرقت فى قاع أحزانها مرة أخرى، ومع ذلك ظلت كما هى فى تعلقها به، مازالت ترفع يديها لله تطلب منه متضرعة أن يهديه سعادة لا تفنى ولا تنتهى، ومازالت تضمه معها فى صدقاتها لعله يكون زوجاً لها فى جنات الخُلد عندما يجتمعان من جديد .

من قال إنهما فى حاجة إلى سلام الأيادى وحديث العيون ليلتقيا، يكفيهما وسادة ليضعا عليها رؤوسهم فيجمع بينهما حلم جميل.

اليوم وبعد مرور سنوات عديدة وأنا مسجونة داخل زنازين حجرات الفيس بوك المختلفة وقد كنت أتخيلها لحظات عابرة ستمضى يوما ما إلى حال سبيلها وسيصيبنى حتما حالة من الملل من حواديته التى لا تنتهى، ولكن الملل لا يأتى ولا يمر، يبدو أننى مريضة بداء جديد لا علاج له .

أخذت أبحث عن اسم المرض الذى انتابنى، فوجدت أن التصاقى المرضى بالفيس بوك يقترب من مرض الكلينومينيا، وهو مصطلح يطلق على حالة من الأمراض النفسية حيث يكتفى فيها الشخص بغرفته وبأجهزته كالتلفاز واللاب توب والموبايل، وينعزل لفترة معينة قد تصل الى عدة شهور ويكون محاطا بأجهزته فقط، ويكون سعيدا بذلك، نعم لقد أصابتنى الكلينومينيا فى مقتل واحتاج إلى علاج عاجل حتى لا تستفحل الحالة

إن لأهل الفيس بوك مذاهب وأهواءً، منهم من يتخذ من السياسة سبيلاً، ومنهم من ينشر على صفحته رسائل رومانسية تعبر عن بحر المشاعر الهائج الكامن داخل قلبه، ومنهم من يناصر قضايا المرأة او ما أطلقوا عليهم مصطلح الفيمينست ليميزوا أفكارهم، ومنهم الثائر دائماً والذى يبحث عن قضايا يناصرها ويدعو للموت من أجلها، حتى

لـو كانـت قضايـا حـق السـنجاب المائـل للاحمـرار فـى الـزواج بمـن يماثلـه فـى الميـول والهوايـات، ومنهـم مـن اتخـذ الفيـس وسـيلة للتشـهير والتشـنيع ونشـر الأخبـار الكاذبـة، ومنهـم مـن اتخـذ منـه الشـرارة الأولى التـى تشـعل الثـورات فـى دول العـالم.

حقاً ستظل دولـة الفيـس بـوك مزدحمـة بحكايـات وقضايـا ورؤى وأحـلام ومجتمعـات، سنكتشـفها بالتدريـج، وسـننبهر ببعضهـا ونكـره البعـض الآخـر .

مع تحياتى

سحر غريب

ohpeikandi.com

التعريـف بالمؤلفة:

سحر غريب

روائية ومؤلفة وسيناريسـت

عضـو اتحاد كتاب مصر

مستشـارة إعلامية لمؤسسـة مصر القراءة والمعرفة

كتب سابقة:

حماتـى ملاك. رواية"

تعيش وتاخد غيرها»، أدب سـاخر.

obeikandl.com

obeikandl.com

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع